

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الصادق الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فهذا كتاب في علم التوحيد، وقد راعيت فيه الاختصار مع سهولة العبارة، وقد اقتبسته من مصادر كثيرة من كتب أئمتنا الأعلام، ولا سيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب العلامة ابن القيم، وكتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه من أئمة هذه الدعوة المباركة، ومما لا شك فيه أن علم العقيدة الإسلامية هو العلم الأساسي الذي تجدر العناية به تعلمًا وتعليمًا وعملاً بموجبه؛ لتكون الأعمال صحيحة مقبولة عند الله نافعة للعاملين، خصوصًا وأنا في زمان كثرت فيه التيارات المنحرفة؛ تيار الإلحاد، وتيار التصوف والرهينة، وتيار القبورية الوثنية، وتيار البدع المخالفة للهدى النبوي، وكلها تيارات خطيرة ما لم يكن المسلم مسلحًا بسلاح العقيدة الصحيحة المرتكزة على الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، فإنه حري أن تجرفه تلك التيارات المضلة؛ وهذا مما يستدعي العناية التامة بتعليم العقيدة الصحيحة لأبناء المسلمين من مصادرها الأصلية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

الباب الأول  
مدخل لدراسة العقيدة  
ويتكون من الفصول التالية:  
الفصلُ الأوَّلُ: معنى العقيدة، وبيان أهميتها؛ باعتبارها أساسًا يقوم  
عليه بناء الدين.  
الفصلُ الثَّانِي: مصادر العقيدة الصحيحة، ومنهج السَّلف في تلقيها.  
الفصلُ الثَّالِثُ: الانحرافُ عن العقيدة، وسببُ التوقُّفِ منه.

## الفصل الأول

في بيان العقيدة وبيان أهميتها باعتبارها أساسًا يقوم عليه بناء الدين  
العقيدة لغة:

مأخوذة من العقد وهو ربط الشيء، واعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير. والعقيدة: ما يدين به الإنسان، يقال: له عقيدة حسنة، أي: سالمة من الشك. والعقيدة عمل قلبي، وهي إيمان القلب بالشيء وتصديقه به.  
والعقيدة شرعًا:

هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وتُسمى هذا أركان الإيمان. والشريعة تنقسم إلى قسمين: اعتقاديات وعمليات: فالاعتقاديات: هي التي لا تتعلق بكيفية العمل، مثل اعتقاد ربوبية الله ووجوب عبادته، واعتقاد بقية أركان الإيمان المذكورة، وتُسمى أصلية.

والعمليات: هي ما يتعلق بكيفية العمل مثل الصلاة والزكاة والصوم وسائر الأحكام العملية، وتسمى فرعية؛ لأنها تبنى على تلك صحة وفسادًا. [شرح العقيدة السفارينية (1 / 4)]. وقوله: (على تلك) أي: على الاعتقاديات. [

فالعقيدة الصَّحِيحَةُ هي الأساسُ الذي يقوم عليه الدين وتَصَحُّ معه الأعمال، كما قال تعالى: {فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا (110)}. [الكهف: 110]. وقال تعالى: {ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين (65)}. [الزمر: 65]. وقال تعالى: {فاعبد الله مخلصًا له الدين (2) ألا لله الدين الخالص}. [الزمر: 2، 3]. [

فدلَّت هذه الآيات الكريمة، وما جاء بمعناها، وهو كثير، على أن الأعمال لا تُقبلُ إلا إذا كانت خالصة من الشرك، ومن ثمَّ كان اهتمام الرسل - صلواتُ الله وسلامه عليهم - بإصلاح العقيدة أولاً، فأول ما يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، كما قال تعالى:

{ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت { [النحل: 36]. [

و كلُّ رسول يقول أول ما يخاطب قومه:  
{ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره } [الأعراف: 59، 65، 73، 85].  
قالها نوح وهود و صالح وشعيب، و سائر الأنبياء لقومهم.

وقد بقي النبي صلى الله عليه وسلم في مكة بعد البعثة ثلاثة عشر عامًا يدعو الناس إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة؛ لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء الدين. وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان حذو الأنبياء والمرسلين، فكانوا يبدءون بالدعوة إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة، ثم يتجهون بعد ذلك إلى الأمر ببقية أوامر الدين.

## الفصل الثاني

في بيان مصادر العقيدة ومنهج السلف في تلقيها العقيدة توقيفية؛ فلا تثبت إلا بدليل من الشارع، ولا مسرح فيها للرأي والاجتهاد، و من تَمَّ فإن مصادرها مقصورة على ما جاء في الكتاب والسنة؛ لأنه لا أحد أعلم بالله وما يجب له و ما ينزه عنه من الله، ولا أحد بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان منهج السلف الصالح ومن تبعهم في تلقي العقيدة مقصورًا على الكتاب والسنة.

فما دل عليه الكتاب والسنة في حق الله تعالى آمنوا به، واعتقدوه و عملوا به. و ما لم يدل عليه كتاب الله ولا سنة رسوله نَقَوْهُ عن الله تعالى ورفضوه؛ ولهذا لم يحصل بينهم اختلاف في الاعتقاد، بل كانت عقيدتهم واحدة، وكانت جماعتهم واحدة؛ لأن الله تكفل لمن تمسك بكتابه وسنة رسوله باجتماع الكلمة، والصواب في المعتقد واتحاد المنهج، قال تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا}. [آل عمران: 103].

وقال تعالى: {فإما يأتينكم مني هدي فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (123)}. [طه: 23].

ولذلك سُمُّوا بالفرقة الناجية؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بالنجاة حين أخبر بافتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، ولما سئل عن هذه الواحدة قال: " هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ". [الحديث رواه الإمام أحمد].

وقد وقع مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، فعندما بنى بعض الناس عقيدتهم على غير الكتاب والسنة، من علم الكلام، وقواعد المنطق الموروثين عن فلاسفة اليونان؛ حصل الانحراف والتفرق في الاعتقاد مما نتج عنه اختلاف الكلمة، وتفرقت الجماعة، وتصعد بناء المجتمع الإسلامي.

## الفصل الثالث

في بيان الانحراف عن العقيدة وسبل التوقي منه  
الانحراف عن العقيدة الصحيحة مهلكة وضياح؛ لأن العقيدة  
الصحيحة هي الدافع القوي إلى العمل النافع، والفرد بلا عقيدة  
صحيحة، يكون فريسة للأوهام والشكوك التي ربما تتراكم عليه،  
فتحجب عنه الرؤية الصحيحة لدروب الحياة السعيدة؛ حتى تضيق  
عليه حياته ثم يحاول التخلص من هذا الضيق بإنهاء حياته ولو  
بالانتحار، كما هو الواقع من كثير من الأفراد الذين فقدوا هداية  
العقيدة الصحيحة. و المجتمع الذي لا تسوده عقيدة صحيحة هو  
مجتمع بهيمي يفقد كل مقومات الحياة السعيدة؛ وإن كان يملك  
الكثير من مقومات الحياة المادية التي كثيرًا ما تقوده إلى الدمار،  
كما هو مشاهد في المجتمعات الكافرة؛ لأن هذه المقومات  
المادية تحتاج إلى توجيه وترشيد؛ للاستفادة من خصائصها  
ومنافعها، و لا موجه لها سوى العقيدة الصحيحة؛ قال تعالى: {يأيها  
الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا}. [المؤمنون: 51].  
وقال تعالى: { \* ولقد آتينا منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير  
وأنا له الحديد (10) أن تعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا  
صالحًا إني بما تعملون بصير (11) ولسليمان الريح غدوها شهر  
ورواحها شره وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه  
بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير (12)  
يعملون له ما يشاء من محاريب وتمثيل وجفان كالجواب وقدور  
راسيات اعملوا ءال داود شكراً وقليل من عبادي الشكور (13) }.  
[سبا: 10 - 13].

فقوة العقيدة يجب أن لا تنفك عن القوة المادية؛ فإن انفكت عنها  
بالانحراف إلى العقائد الباطلة، صارت القوة المادية وسيلة دمار  
وانحدار؛ كما هو المشاهد اليوم في الدول الكافرة التي تملك  
مادة، ولا تملك عقيدة صحيحة.

والانحراف عن العقيدة الصحيحة له أسباب تجب معرفتها، من  
أهمها:

1 - الجهل بالعقيدة الصحيحة؛ بسبب الإعراض عن تعلمها  
وتعليمها، أو قلة الاهتمام والعناية بها؛ حتى ينشأ جيل لا يعرف تلك  
العقيدة، ولا يعرف ما يخالفها وبضادها؛ فيعتقد الحق باطلاً،  
والباطل حقًا، كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: " إنما  
نُقِضَ عُرَى الإسلام عروةً إذا نشأ في الإسلام من لا يعرفُ  
الجاهلية "

2 - التعصُّب لما عليه الآباء والأجداد، و التمسك به وإن كان باطلاً،  
وترك ما خالفه وإن كان حقًا؛ كما قال الله تعالى: {وإذا قيل لهم

اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا أولو كان ءاباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون { . [البقرة: 170].

3 - التقليدُ الأعمى بأخذ أقوال الناس في العقيدة من غير معرفة دليلها، ومعرفة مدى صحتها، كما هو الواقعُ من الفرقِ المخالفة من جهمية ومعتزلة، و أشاعرة و صوفية، وغيرهم، حيثُ قلدوا من قبلهم من أئمة الضلال؛ فضلوا وانحرفوا عن الاعتقاد الصحيح.

4 - الغلو في الأولياء والصالحين، ورفعهم فوق منزلتهم، بحيث يعتقد فيهم ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع، ودفع الضر، واتخاذهم وسائط بين الله وبين خلقه في قضاء الحوائج وإجابة الدعاء؛ حتى يؤول الأمر إلى عبادتهم من دون الله، والتقرب إلى أضرحتهم بالذبائح والنذور، والدعاء والاستغاثة وطلب المدد، كما حصل من قوم نوح في حق الصالحين حين قالوا: { لا تذرنا ءالهم ولا تذرنا وداً ولا سواغاً ولا يغوث ويعوق ونسراً } . [نوح: 23].

وكام هوَ الحاصلُ من عبَاد القُبور اليوم في كثير من الأمصار. 5 - الغفلة عن تدبر آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية، والانبهار بمعطيات الحضارة المادية؛ حتى ظنوا أنها من مقدور البشر وحده؛ فصاروا يُعظمون البشر، ويضيفون هذه المعطيات إلى مجهوده واختراعه وحده، كما قال قارون من قبل: { قال إنما أوتيته على علم عندي } [القصص: 78]. وكما يقول الإنسان { هذا لي } [فصلت: 50]، { إنما أوتيته على علم } . [الزمر: 49]. [ ولم يتفكروا وينظروا في عظمة من أوجد هذه الكائنات، وأودعها هذه الخصائص الباهرة، وأوجد البشر و أعطاهُ المقدرة على استخراج هذه الخصائص، والانتفاع بها { والله خلقكم وما تعملون } (96) { . [الصافات: 96].

{ أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء } . [الأعراف: 185].

{ الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (32) وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار (33) وءاتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها } . [إبراهيم: 32 - 34].

6 - أصبح البيت في الغالب خاليًا من التوجيه السليم؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " [أخرجه الشيخان]. فالأبوان لهما دور كبير في تقويم اتجاه الطفل.

7 - إجماع وسائل التعليم والإعلام في غالب العالم الإسلامي عن أداء مهمتهما، فقد أصبحت مناهج التعليم في الغالب لا تولي جانب الدين اهتمامًا كبيرًا، أو لا تهتم به أصلًا، وأصبحت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في الغالب أداة تدمير وانحراف، أو تعني بأشياء مادية وترفيهية، ولا تهتم بما يقوم الأخلاق، ويزرع العقيدة الصحيحة، ويقاوم التيارات المنحرفة، حتى ينشأ جيل أعزل أمام جيوش الإلحاد لا يدان له بمقاومتها.

وسبل التوقي من هذا الانحراف تتلخص فيما يلي:

1 - الرجوع إلى كتاب الله عز وجل، وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لتلقي الاعتقاد الصحيح منهما، كما كان السلف الصالح يستمدون عقيدتهم منهما، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، مع الاطلاع على عقائد الفرق المنحرفة، ومعرفة شُبُههم للرد عليها والتحذير منها؛ لأن من لا يعرف الشر يوشك أن يقع فيه.

2 - العناية بتدريس العقيدة الصحيحة - عقيدة السلف الصالح - في مختلف المراحل الدراسية، وإعطاؤها الحصص الكافية من المنهج، والاهتمام البالغ في تدقيق الامتحانات في هذه المادة.

3 - أ، تقرر دراسة الكتب السلفية الصافية، وابتعد عن كتب الفرق المنحرفة، كالصوفية والمبتدعة، والجهمية والمعتزلة، والأشاعرة والمبتدعة، والجهمية والمعتزلة، والأشاعرة والماتوريدية، وغيرهم إلا من باب معرفتها لرد ما فيها من الباطل والتحذير منا.

4 - قيام دعاة مصلحين يجددون للناس عقيدة السلف، ويردون ضلالات المنحرفين عنها.

## الباب الثاني

في بيان معنى التوحيد وأنواعه

التوحيد: هو إفراد الله بالخلق والتدبير، وإخلاص العبادة له، وترك عبادة ما سواه، وإثبات ما له من الأسماء الحسنی، والصفات العليا، وتنزيهه عن النقص والعيب؛ فهو بهذا التعريف يشمل أنواع التوحيد الثلاثة، وبيانها كتالي:

1 - توحيد الربوبية

ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول: في بيان معنى توحيد الربوبية، وفطريته وإقرار المشركين به.

الفصل الثاني: في بيان مفهوم كلمة الرب في القرآن والسنة، وتصورات الأمم الضالة في باب الربوبية، والرد عليها.

الفصل الثالث: في بيان خضوع الكون في الانقياد والطاعة لله.

الفصل الرابع: في بيان منهج القرآن في إثبات وحدانية الله في الخلق والرزق وغير ذلك.

الفصل الخامس: في بيان استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية.

## الفصل الأول

في بيان معنى توحيد الربوبية وإقرار المشركين به التوحيد: بمعناه العام هو اعتقادُ تَفَرُّدِ الله تعالى بالربوبية، وإخلاص العبادة له، وإثبات ما له من الأسماء والصفات، فهو ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وكل نوع له معنى لا بد من بيانه؛ ليتحدد الفرق بين هذه الأنواع:

1 - فتوحيد الربوبية:

هو إفرادُ الله تعالى بأفعاله؛ بأن يُعْتَقَدَ أنه وحده الخالق لجميع المخلوقات: {الله خالق كل شيء} . [الزمر: 62].  
وأنه الرازق لجميع الدواب والآدميين وغيرهم: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها} . [هود: 6].  
وأنه مالكُ الملك، والمدبرُ لشئون العالم كله؛ يُؤَلِّي ويعزل، ويُعزُّر ويُذل، قادرٌ على كل شيء، يُصَرِّفُ الليل والنهار، ويُحيي ويُميت: {قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير (26) تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب (27)} . [آل عمران: 26، 27].  
وقد نفى الله سبحانه أن يكونَ له شريكٌ في الملك أو معين، كما نفى سبحانه أن يكونَ له شريكٌ في الخلق والرزق، قال تعالى: {هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه} . [لقمان: 11].  
وقال تعالى: {أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه} . [الملك: 21].

كما أعلن انفراده بالربوبية على جميع خلقه فقال: {الحمد لله رب العالمين (2)} {الفاتحة: 2} . [، وقال: {إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (54)} . [الأعراف: 54].

وقد فَطَرَ الله جميعَ الخلق على الإقرار بربوبيته؛ حتى إن المشركين الذين جعلوا له شريكاً في العبادة؛ يقرون بتفرده بالربوبية، كما قال تعالى: {قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم (86) سيقولون لله أفلا تتقون (87) قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون (88) سيقولون لله قل فأنى تسحرون (89)} . [المؤمنون: 86 - 89].  
فهذا التوحيدُ لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم؛ بل القلوب مفطورة على الإقرار به؛ أعظم من كونها مفطورة على

الإقرار بغيره من الموجودات؛ كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: { \* قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض { إبراهيم: 10. ]

وأشهر ممن عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الرب فرعون، وقد كان مستيقنًا به في الباطن كما قال له موسى: { قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر { . [الإسراء: 102. ] وقال عنه وعن قومه: { وجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوًا { . [النمل: 14. ]

وكذلك من ينكر الرب اليوم من الشيوعيين، إنما ينكرونه في الظاهر مكابرة؛ وإلا فهم في الباطن لابد أن يعترفوا أنه ما من موجود إلا وله موجد، وما من مخلوق إلا وله خالق وما من أثر إلا وله مؤثر، قال تعالى: { أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ( 35 ) أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ( 36 ) { . [الطور: 35 - 36. ]

تأمل العالم كله، علويه وسفليه، بجميع أجزائه؛ تجده شاهدًا بإثبات صانعه وفاطره ومليكه. فإنكار صانعه وجده في العقول والفطر؛ بمنزلة إنكار العلم وجده، لا فرق بينهما [لأن العلم الصحيح يثبت وجود الخالق. ]، و ما تبجح به الشيوعية اليوم من إنكار وجود الرب؛ إنما هو من باب المكابرة، ومصادرة نتائج العقول والأفكار الصحيحة، ومن كان بهذه المثابة، فقد ألقى عقله ودعا الناس للسخرية منه.

قال الشاعر:

كيف يعصي الإله وفي كل شيء له آية  
ويجده الجاحد تدل على أنه واحد

## الفصلُ الثاني

مفهومُ كلمة الربِّ في القرآن والسنة وتصورات الأمم الضالة

1 - مفهوم كلمة الرب في الكتاب والسنة:

الرب في الأصل: مصدرٌ رَبَّ يرب، بمعنى: نشأ الشيء من حال إلى حال إلى حال التمام، يقال: ربه ورباه وربيه، فلفظ (رب) مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال: (الرب) بالإطلاق؛ إلا لله تعالى المتكفل بما يصلح الموجودات، نحو قوله: {رب العالمين (2)} [الفاحة: 2. ]، {ربكم ورب ءابائكم الأولين (26) }. [الشعراء: 26. ]

ولا يقال لغيره إلا مضافاً محدوداً، كما يقال: رب الدار؛ وربُّ الفرس. يعني صاحبها، ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: {اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه} [يوسف: 42. ] على قول في تفسير الآية.

وقوله تعالى: {قال ارجع إلى ربك }. [يوسف: 50. ]

وقوله تعالى: {أما أحدكما فيسقي ربه خمراً }. [يوسف: 41. ]  
وقال صلى الله عليه وسلم في ضالة الإبل: " حتى يجدها ربها ". [من حديث متفق عليه. ]

فتبين بهذا: أن الرب يطلق على الله معرفاً ومضافاً، فيقال: الرب، أو رب العالمين، أو رب الناس، ولا تُطلق كلمة الربِّ على غير الله إلا مضافة، مثل: رب الدار، ورب المنزل، ورب الإبل.

ومعنى (رب العالمين) أي: خالقهم ومالكهم، ومصالحهم ومربيهم بنعمه، وبإرسال رسله، وإنزال كتبه، ومجازيهم على أعمالهم. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (فإنَّ الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم، وجزاء مُحسنهم بإحسانه، ومُسيئهم بإساءته). [انظر (1) / (8) من مدارج السالكين. ]

هذه حقيقة الربوبية.

2 - مفهوم كلمة الرب في تصورات الأمم الضالة:

خلق الله الخلق مفطورين على التوحيد، ومعرفة الرب الخالق سبحانه، كما قال الله تعالى: {فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله }. [الروم: 30. ]  
وقال تعالى: {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا }. [الأعراف: 172. ]

فالإقرار بربوبية الله والتوجه إليه أمر فطري، والشرك حادث طارئ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " كلُّ مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " [رواه الشيخان. ]، فلو حُلِّيَ العبد وفطرته لاتجه إلى التوحيد وقيل دعوة

الرسول؛ الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، ودلت عليه الآيات الكونية، ولكن التربية المنحرفة والبيئة الملحدة هما اللتان تغيران اتجاه المولود، ومن ثمَّ يقلد الأولاد آباءهم في الضلالة والانحراف.

يقولُ الله تعالى في الحديث القدسي: " خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين " [رواه أحمد ومسلم]. أي: صَرَفْتُهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، واتخاذها أربابًا من دون الله؛ فوقعوا في الضلال والضياغ، والتفرق والاختلاف؛ كلُّ يتخذ له ربًّا يعبدُه غير ربِّ الآخر؛ لأنهم لما تركوا الربَّ الحق، ابتلوا باتخاذ الأرباب الباطلة، كما قال تعالى: {فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال} [يونس: 32]. والضلال ليس له حد ولا نهاية، وهو لازم لكل من أعرض عن ربه الحق، قال الله تعالى: {أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (39) ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان}. [يوسف: 39، 40]. [الشرك في الربوبية باعتبار إثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال ممتنع، وإنما ذهب بعض المشركين إلى أن معبوداتهم تملك بعض التصرفات في الكون، وقد تلاعب بهم الشيطان في عبادة هذه المعبودات، فتلاعب بكل قوم على قدر عقولهم، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى؛ الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم، كقوم نوح، وطائفة اتخذت الأصنام على صورة الكواكب؛ التي زعموا أنها تؤثر على العالم، فجعلوا لها بيوتًا وسدنة.

واختلفوا في عبادتهم لهذه الكواكب: فمنهم من عبد الشمس، ومنهم من عبد القمر، ومنهم من يعبدُ غيرهما بمن الكواكب الأخرى؛ حتى بنوا لها هياكل، لكل كوكب منها هيكل يخصه، ومنهم من يعبدُ النار، وهم المجوس، ومنهم من يعبد البقر، كما في الهند، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبدُ القبور والأضرحة، وكل هذا بسبب أن هؤلاء تصوروا في هذه الأشياء شيئًا من خصائص الربوبية.

فمنهم من يزعم أن هذه الأصنام تمثل أشياء غائبة، قال ابن القيم: (وضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على شكله وهيأته وصورته؛ ليكون نائبًا منابه، وقائمًا مقامه. وإلا فمن المعلوم أن عاقلًا لا ينحت خشبة أو حجرًا بيده، ثم يعتقد أنه إله ومعبوده...) انتهى. [إغاثة اللهفان (2 / 220)].

كما أن عبَادَ القبور قديمًا وحديثًا، يزعمون أن هؤلاء الأموات يشفعون لهم، ويتوسطون لهم عند الله في قضاء حوائجهم ويقولون: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} [الزمر: 3].

{ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله } . [يونس: 18. ]

كما أن بعض مشركي العرب والنصارى تصوروا في معبوداتهم أنها ولد الله، فمشركو العرب عبدوا الملائكة على أنها بنات الله، والنصارى عبدوا المسيح - عليه السلام - على أنه ابن الله.  
3 - الرد على هذه التصورات الباطلة:

قد رد الله على هذه التصورات الباطلة جميعًا بما يأتي:  
أ - رد على عبدة الأصنام بقوله: { أفريتم اللات والعزى (19) ومناة الثالثة الأخرى (20) } . [يونس: 18. ]

ومعنى الآية كما قال القرطبي: أفريتم هذه الآلهة ! أنفعت أو ضرت؛ حتى تكون شركاء لله تعالى ؟ وهل دفعت عن نفسها حينما حطمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وهدموها.

وقال تعالى: { واتل عليهم نبأ إبراهيم (69) إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون (70) قالوا نعبد أصنامًا فنظل لها عكافين (71) قال هل يسمعونكم إذ تدعون (72) أو ينفعونكم أو يضرون (73) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (74) } . [الشعراء: 69 - 74. ]  
فقد وافقوا على أن هذه الأصنام لا تسمع الدعاء ولا تنفع ولا تضر، وإنما عبدوها تقليدًا لآبائهم، والتقليد حجة باطلة.

ب - ورد على من عبد الكواكب والشمس والقمر بقوله: { والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره } [الأعراف: 54. ]،  
وبقوله: { ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون (37) } . [فصلت: 37. ]

ج - ورد على من عبد الملائكة والمسيح - عليهم السلام - على أنهم ولد الله - بقوله تعالى: { ما اتخذ الله من ولد } [المؤمنون: 91. ]،  
وبقوله: { أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة } [الأنعام: 101. ]،  
وبقوله: { لم يلد ولم يولد (3) ولم يكن له كفواً أحد (4) } . [الإخلاص: 3، 4. ]

## الفصل الثالث

الكون وفطرته في الخضوع والطاعة لله  
إن جميع الكون بسماؤه وأرضه وأفلاكه وكواكبه، ودوابه وشجره  
ومدره وبره وبحره، وملائكته وجنه وإنسه؛ كله خاضع لله، مطيع  
لأمره الكوني، قال تعالى: {وله أسلم من في السماوات والأرض  
طوعًا وكرهًا} [آل عمران: 83. ]، وقال تعالى: {بل له ما في  
السماوات والأرض كل له قانتون (116)} [البقرة: 116. ]،  
{ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة  
وهم لا يستكبرون (49)} [النحل: 49. ]، {ألم تر أن الله يسجد له  
من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم  
والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس} [الحج: 18. ] {ولله  
يسجد ممن في السماوات والأرض طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغدو  
والأصال}. [الرعد: 15. ]

فكُلُّ هذه الكائنات والعوالم؛ مُنقادة لله خاضعة لسلطانه؛ تجري  
وفق إرادته وطوع أمره، لا يستعصي عليه منها شيء؛ تقوم  
بوظائفها، وتؤدي نتائجها بنظام دقيق، وتنزه خالقها عن النقص  
والعجز والعيب، قال تعالى: {تسبح له السماوات السبع والأرض  
ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون  
تسبيحهم}. [الإسراء: 44. ]

فهذه المخلوقات صامتة وناطقها، وحيها وميتها، كلها مُطبعة لله  
مُنقادة لأمره الكوني، وكلها تنزه الله عن النقائص والعيوب بلسان  
الحال، ولسان المقال. فكلما تدبّر العاقل هذه المخلوقات؛ علم  
أنها خُلقت بالحق وللحق، وأنها مسخرات ليس لها تدبير ولا  
استعصاء عن أمر مدبرها؛ فالجميع مُقَرَّون بالخالق بفطرتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (وهم خاضعون  
مُستسلمون، قانتون مضطرون، من وجوه:

منها: علمهم بحاجتهم وضرورتهم إليه.

ومنها: خضوعهم واستسلامهم لما يجري عليهم من أقداره  
ومشيئته.

ومنها: دعاؤهم إياه عند الاضطرار.

والمؤمن يخضع لأمر به طوعًا؛ وكذلك لما يقدره عليه من  
المصائب، فإنه يفعلُ عندها ما أمر به من الصبر وغيره طوعًا؛ فهو  
مسلم لله طوعًا، خاضع له طوعًا [مجموع الفتاوى (1 / 45). ]،  
والكافر يخضع لأمر به الكوني، وسجود الكائنات المقصود به  
الخضوع، وسجود كل شيء بحسبه، سجود يناسبه ويتضمن  
الخضوع للرب، وتسبيح كل شيء بحسبه حقيقة لا مجازًا).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - على قوله تعالى: {أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعًا وكرهًا وإليه ترجعون (83) }. [آل عمران: 83].  
قال: (فذكر سبحانه إسلام الكائنات طوعًا وكرهًا؛ لأن المخلوقات جميعها متعبدة له التعبد التام؛ سوا أقر المقر بذلك أو أنكره؛ وهم مدينون له مدبرون؛ فهم مسلمون له طوعًا وكرهًا، وليس لأحد من المخلوقات خروج عما شاءه وقدره وقضاه، ولا حول ولا قوة إلا به، وهو رب العالمين ومليكهم، يصرفهم كيف يشاء، وهو خالقهم كلهم، وبارئهم ومصورهم، وكل ما سواه فهو مربوب مصنوع، مفطور فقير محتاج معبد مقهور؛ وهو سبحانه الواحد القهار الخالق البارئ المصور). [مجموع الفتاوى (10 / 200)].

## الفصل الرابع

في بيان منهج القرآن في إثبات وجود الخالق ووجدانيته  
منهج القرآن في إثبات وجود الخالق ووجدانيته؛ هو المنهج الذي  
يتمشى مع الفطر المستقيمة، والعقول السليمة، وذلك بإقامة  
البراهين الصحيحة، التي تقتنع بها العقول، وتسلم بها الخصوم،  
ومن ذلك:

1 - من المعلوم بالضرورة أن الحادث لا بد له من محدث:  
هذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة؛ حتى للصبيان؛ فإن الصبي لو  
ضربه ضارب، وهو غافل لا يبصره، لقال: من ضربني؟ فلو قيل  
له: لم يضربك أحد؛ لم يقبل عقله أن تكون الضربة حدثت من غير  
محدث؛ فإذا قيل: فلان ضربك، بكى حتى يُضرب ضاربه؛ ولهذا قال  
تعالى:

{ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون (35) }. [الطور:  
35.]

وهذا تقسيم حاصر، ذكره الله بصيغة استفهام إنكاري؛ ليبين أن  
هذه المقدمات معلومة بالضرورة، لا يمكن جحدها، يقول: { أم  
خلقوا من غير شيء؟ أي: من غير خالق خلقهم، أم هم خلقوا  
أنفسهم؟ وكلا الأمرين باطل؛ فتعين أن لهم خالقاً خلقهم، وهو  
الله سبحانه، ليس هناك خالق غيره، قال تعالى: { هذا خلق الله  
فأروني ماذا خلق الذين من دونه }. [لقمان: 11.]

{ أوني ماذا خلقوا من الأرض }. [الأحقاف: 4.]  
{ أم جلعوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله  
خالق كل شيء وهو الواحد القهار (16) } [الرعد: 16.] { إن  
الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له }.  
[الحج: 73.]

{ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون }.  
[النحل: 20.]

{ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون (17) }. [النحل: 17.]  
ومع هذا التحدي المتكرر لم يدع أحد أنه خلق شيئاً، ولا مجرد  
دعوى - فضلاً عن إثبات ذلك -، فتعين أن الله سبحانه هو الخالق  
وحده لا شريك له.

2 - انتظام أمر العالم كله وإحكامه: أدل دليل على أن مدبره إله  
واحد، ورب واحد لا شريك له ولا منازع.

قال تعالى: { ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب  
كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض }. [المؤمنون: 91.]  
فالإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً، فلو كان معه سبحانه إله  
آخر، يُشاركه في مُلكه - تعالى الله عن ذلك - لكان له خلق وفعل،

وحينئذٍ فلا يرضى شركة الإله الآخر معه؛ بل إن قدر على قهر شريكه وتفرد بالملك والإلهية دونه؛ فعل. وإن لم يقدر على ذلك، افترد بنصيبه في الملك والخلق؛ كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه، فيحصل الانقسام. فلا بد من أحد ثلاثة أمور:  
أ - إما أن يقهر أحدهما الآخر وينفرد بالملك دونه.  
ب - وإما أن ينفرد كل واحد منهما عن الآخر بملكه وخلقها؛ فيحصل الانقسام.

ج - وإما أن يكونا تحت ملك واحد يتصرف فيهما كيف يشاء؛ فيكون هو الإله الحق وهم عبيده.  
وهذا هو الواقع، فإنه لم يحصل في العالم انقسام ولا خلل؛ مما يدل على أن مدبره واحد، لا منازع له، وأن مالكه واحد لا شريك له.

3 - تسخير المخلوقات لأداء وظائفها، والقيام بخصائصها:  
فليس هناك مخلوق يستعصي ويمتنع عن أداء مهمته في هذا الكون، وهذا ما استدل به موسى - عليه السلام - حين سأله فرعون: {قال فمن ربكما يا موسى (49)} أجاب موسى بجواب شافٍ كافٍ فقال: {ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (50)} [طه: 49، 50]. أي: ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به؛ من كبر الجسم وصغره وتوسطه وجميع صفاته، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية هي هداية الدلالة والإلهام وهي الهداية الكاملة المشاهدة في جميع المخلوقات، فكل مخلوق تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله أعطى الحيوان البهيم من الإدراك؛ ما يتمكن به من فعل ما ينفعه، ودفع ما يضره، وما به يؤدي مهمته في الحياة، وهذا كقوله تعالى: {الذي أحسن كل شيء خلقه}. [السجدة: 7].

فالذي خلق جميع المخلوقات، وأعطاهما خلقها الحسن - الذي لا تقترح العقول فوق حسنه - وهداها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجودًا، وهو مكابرة ومجاهرة بالكذب، فالله أعطى الخلق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا، ثم هداهم إلى طريق الانتفاع به، ولا شك أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه، في المناكحة والألفة والاجتماع، وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به، وفي هذا براهين قاطعة على أنه جل وعلا رب كل شيء، وهو المستحق للعبادة دون سواه...

تدل على أنه الواحد

وفي كل شيء له آية

ومما لا شك فيه أن المقصود من إثبات ربوبيته - سبحانه - لخلقه وانفراده لذلك: هو الاستدلال به على وجوب عبادته وحده لا شريك له؛ الذي هو توحيد الألوهية، فلو أن الإنسان أقر بتوحيد الربوبية ولم يقر بتوحيد الألوهية أو لم يقر به على الوجه الصحيح؛ لم يكن مسلمًا، ولا موحدًا؛ بل يكون كافرًا جاحدًا، وهذا ما سنتحدث عنه في الفصل التالي - إن شاء الله تعالى -.

## الفصل الخامس

بيان استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية  
ومعنى ذلك أن من أقر بتوحيد الربوبية لله، فاعترف بأنه لا خالق  
ولا رازق ولا مدبر للكون إلا الله - عز وجل -، لزمه أن يقرب بأنه لا  
يستحق العبادة بجميع أنواعها إلا الله سبحانه، وهذا هو توحيد  
الألوهية، فإن الألوهية هي العبادة؛ فالإله معناه: المعبود، فلا يُدعى  
إلا الله، ولا يُستغاثُ إلا به، ولا يُتوكَّلُ إلا عليه، ولا تذبح القرابين  
وتُنذر النذور ولا تُصرفُ جميعُ أنواع العبادة إلا له؛ فتوحيد الربوبية  
دليلٌ لوجوب توحيد الألوهية؛ ولهذا كثيراً ما يتحجُّ الله - سبحانه -  
على المنكرين لتوحيد الألوهية بما أقروا به من توحيد الربوبية،  
مثل قوله تعالى: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين  
من قبلكم لعلكم تتقون (21) الذي جعل لكم الأرض فراشاً  
والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً  
لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون (22) }. [البقرة: 21، 22].

[  
فأمرهم بتوحيد الألوهية، وهو عبادته، واحتجَّ عليهم بتوحيد الربوبية  
الذي هو خلقُ الناس الأولين والآخرين، وخلقُ السماء والأرض وما  
فيهما، وتسخير الرياح وإنزال المطر، وإنبات النبات، وإخراج  
الثمار التي هي رزق العباد، فلا يليق بهم أن يُشركوا معه غيره؛  
ممن يعلمون أنه لم يفعل شيئاً من ذلك، ولا من غيره، فالطريق  
الفطري لإثبات توحيد الألوهية: الاستدلال عليه بتوحيد الربوبية،  
فإن الإنسان يتعلق أولاً بمصدر خلقه، ومنشأ نفعه وضره؛ ثم ينتقل  
بعد ذلك إلى الوسائل التي تقربه إليه، وترضيه عنه، وتوثق الصلة  
بينه وبينه، فتوحيد الربوبية تبابٌ لتوحيد الألوهية؛ من أجل ذلك  
اتحج الله على المشركين بهذه الطريقة، وأمر رسوله أن يحتج بها  
عليهم، فقال تعالى: {قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون (84)  
سيقولون لله قل أفلا تذكرون (85) قل من رب السماوات  
السبع ورب العرش العظيم (86) سيقولون لله قل أفلا تتقون (87)  
قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن  
كنتم تعلمون (88) سيقولون لله قل فأنى تسحرون }.  
[المؤمنون: 84 - 89].

وقال تعالى: {ذالكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء  
فاعبدوه }. [الأنعام: 102].

فقد احتج بتفرده بالربوبية على استحقاقه للعبادة، وتوحيد  
الألوهية: هو الذي خلق الخلق من أجله، قال تعالى: {وما خلقت  
الجن والإنس إلا ليعبدون (56) }. [الذاريات: 56].

ومعنى (يعبدون): يُفردوني بالعبادة، ولا يكون العبدُ موحدًا بمجرد اعترافه بتوحيد الربوبية؛ حتى يُقَرَّ بتوحيد الألوهية، ويقومَ به، وإلا فإنَّ المشركين كانوا مُقَرَّينَ بتوحيدِ الربوبية، ولم يُدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وهم يُقَرُّون بأن الله هو الخالق المرازق، المحيي المميت، كما قال تعالى: {ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله} [الزخرف: 87]، {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم} (9) [الزخرف: 9]، {قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله} [يونس: 31].

وهذا كثيرٌ في القرآن، فمن زعمَ أنَّ التوحيدَ هو الإقرارُ بوجود الله، أو الإقرار بأن الله هو الخالق المتصرف في الكون، واقتصر على هذا النوع؛ لم يكن عارقًا لحقيقة التوحيد الذي دعَتْ إليه الرسل؛ لأنَّه وقفَ عندَ الملزوم وتركَ اللازم، أو وقفَ عندَ الدليل وتركَ المدلول عليه.

ومن خصائص الألوهية: الكمالُ المطلقُ من جميع الوجوه؛ الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها لها وحده، والتعظيم والإجلال، والخشية والدعاء، والرجاء، والإنابة، والتوكل والاستغاثة، وغاية الذلِّ مع غاية الحب، كل ذلك يجب عقلاً وشرعًا وفطرةً أن يكون لله وحده، ويمتنع عقلاً وشرعًا وفطرةً أن يكون لغيره.

## 2 - توحيد الألوهية

ويتضمن الفصول التالية:

- الفصل الأول: في معنى توحيد الألوهية وأنه موضوع دعوة الرسل.
- الفصل الثاني: الشهادتان: معناهما - أركانهما - شروطهما - مقتضيهما - نواقضهما.
- الفصل الثالث: في التشريع: التحليل - التحريم - حق الله.
- الفصل الرابع: في العبادة: معناها - أنواعها - شمولها.
- الفصل الخامس: في بيان مفاهيم خاطئة في تحديد العبادة (وذلك كالتقصير في مدلول العبادة أو الغلو فيها).
- الفصل السادس: في بيان ركائز العبودية الصحيحة: الحب - الخوف - الخضوع - الرجاء.
- الفصل السابع: في بيان شروط قبول العبادة والعمل: وهي الإخلاص ومتابعة الشرع.
- الفصل الثامن: في بيان مراتب الدين وهي: الإسلام - والإيمان - والإحسان. تعريفها وما بينها من عموم وخصوص.

## الفصل الأول

في بيان معنى توحيد الألوهية وأنه موضوع دعوة الرسل  
توحيد الألوهية: الألوهية هي العبادة:

وتوحيد الألوهية هو: أفراد الله تعالى بأفعال العباد التي يفعلونها  
على وجه التقرب المشروع، كالمدعاء والنذر والنحر، والرجاء  
والخوف، والتوكل والرغبة والرغبة والإنابة، وهذا النوع من التوحيد  
هو موضوع دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، قال تعالى: {ولقد  
بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [النحل:  
36]. [، وقال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى  
إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}. [الأنبياء: 25]. [

وكل رسول يبدأ دعوته لقومه بالأمر بتوحيد الألوهية، كما قال نوح  
وهو صالح وشعيب: {يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله} [الأعراف:  
59، 65، 73، 85]. [، {وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا  
الله واتقوه}. [العنكبوت: 16]. [

وأنزل على محمد صلى الله عليه وسلم: {قل إني أمرت أن أعبد  
الله مخلصاً له الدين (11)}. [الزمر: 11]. [

وقال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس؛ حتى  
يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله". [الحديث رواه  
البخاري ومسلم]. [

وأول واجب علي المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله والعمل بها، قال  
تعالى: {فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك}. [محمد: 19]. [  
وأول ما يؤمر به مَنْ يريد الدخول في الإسلام: النطق بالشهادتين،  
فتبين من هذا: أن توحيد الألوهية هو مقصود دعوة الرسل، وسُمِّي  
بذلك، لأن الألوهية وصف الله تعالى الدال عليه اسمه تعالى (الله  
)، فالله: ذو الألوهية، أي المعبود.

ويقال له: توحيد العبادة؛ باعتبار أن العبودية وصف العبد، حيث إنه  
يجب عليه أن يعبد الله مخلصاً في ذلك؛ لحاجته إلى ربه وفقره  
إليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

(واعلم أن فقر العبد إلى الله: أن يعبد لا يُشرك به شيئاً، ليس له  
نظير فيُقاس به؛ لكن يُشبهه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى  
الطعام والشراب، وبينهما فروق كثيرة؛ فإن حقيقة العبد قلبه  
وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا  
تطمئن في الدنيا إلا بذكره. ولو حصل للعبد لذات وسرور بغير  
الله، فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى  
شخص، وأما إله فلا بد له منه في كل حال، وكل وقت وأينما كان  
فهو معه). [مجموع الفتاوى (1 / 24)]. [

وكان هذا النوع من التوحيد هو موضوع دعوة الرسل؛ لأنه الأساس الذي بُنى عليه جميع الأعمال، وبدون تحققه لا تصح جميع الأعمال؛ فإنه إذا لم يتحقق؛ حصل ضده، وهو الشرك، وقد قال الله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به} [النساء: 48، 116]. [، وقال تعالى: {ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون (88)} [الأنعام: 88]. [، وقال تعالى: {لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين}. [الزمر: 65]. [ ولأن هذا النوع من التوحيد؛ هو أول الحقوق الواجبة على العبد، كما قال تعالى: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً} [النساء: 36]. الآية، وقال تعالى: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً} [الإسراء: 23]. الآية، وقال تعالى: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً} [الأنعام: 151 - 153]. الآيات.

## الفصل الثاني

في بيان معنى الشهادتين وما وقع فيهما من الخطأ  
وأركانها وشروطهما ومقتضاها ونواقضها  
أولاً: معنى الشهادتين:

معنى شهادة أن لا إله إلا الله: الاعتقاد والإقرار، أنه لا يستحقُّ  
العبادة إلا الله، والتزام ذلك والعمل به، (فلا إله) نفي لاستحقاق  
من سوى الله للعبادة، ومعنى هذه الكلمة إجمالاً: لا معبود بحق إلا  
الله. وخبر (لا) يجب تقديره: (بحق) ولا يجوز تقديره بموجود؛ لأنَّ  
هذا خلافُ الواقع، فالمعبوداتُ غيرُ الله موجودة بكثرة؛ فيلزم منه  
أن عبادة هذه الأشياء عبادة لله، وهذا من أبطل الباطل وهو  
مذهب أهل وحدة الوجود الذين هم أكفر أهل الأرض. وقد فسرتُ  
هذه الكلمة بتفسيرات باطلة منها:

(أ) أن معناه: لا معبود إلا الله. وهذا باطل؛ لأن معناه: أن كل  
معبود بحق أو باطل هو الله، كما سبق بيانه قريباً.  
(ب) أن معناها: لا خالق إلا الله. وهذا جزء من معنى هذه الكلمة؛  
ولكن ليس هو المقصود؛ لأنه لا يثبت إلا توحيد الربوبية، وهو لا  
يكفي وهو توحيد المشركين.

(ج) أن معناها: لا حاكمية إلا لله، وهذا أيضاً جزء من معناها،  
وليس هو المقصود؛ لأنه لا يكفي، لأنه لو أفرد الله بالحاكمية فقط  
ودعا غير الله أو صرف له شيئاً من العبادة لم يكن موحدًا، وكل  
هذه تفاسير باطلة أو ناقصة؛ وإنما نبهنا عليها لأنها توجد في بعض  
الكتب المتداولة.

والتفسيرُ الصحيح لهذه الكلمة عند السلف والمحققين:  
أن يقال: (لا معبود بحق إلا الله) كما سبق.

2 - ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: هو الاعتراف باطنًا  
وظاهرًا أنه عبد الله ورسوله إلى الناس كافة، والعمل بمقتضى  
ذلك من طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه  
وزجر، وألا يُعبَدَ الله إلا بما شرع.

ثانيًا: أركان الشهادتين:

أ - لا إله إلا الله: لها ركنان هما: النفي والإثبات:

فالركن الأول: النفي: لا إله: يُبطل الشرك بجميع أنواعه، ويوجب  
الكفر بكل ما يعبد من دون الله.

والركن الثاني: الإثبات: إلا الله: يثبت أنه لا يستحق العبادة إلا  
الله، ويوجب العمل بذلك. وقد جاء معنى هذين الركنين في كثير  
من الآيات، مثل قوله تعالى: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله  
فقد استمسك بالعروة الوثقى} . [البقرة: 256.]

فقوله: (من يكفر بالطاغوت) هو معنى الركن الأول (لا إله) وقوله: (و يؤمن بالله) هو معنى الركن الثاني (إلا الله). وكذلك قوله عن إبراهيم عليه السلام: {إنني براء مما تعبدون (26) إلا الذي فطرني}. [الزخرف: 26، 27]. [فقوله: (إنني براء) هو معنى النفي في الركن الأول، وقوله: (إلا الذي فطرني) هو معنى الإثبات في الركن الثاني. أركان شهادة أن محمدًا رسول الله: لها ركنان هما قولنا: عبده ورسوله، وهما ينفيان الإفراط والتفريط في حقه صلى الله عليه وسلم فهو عبده ورسوله، وهو أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين، ومعنى العبد هنا: المملوك العابد، أي: أنه بشرٌ مخلوق مما خلق منه البشر؛ يجري عليه ما يجري عليهم، كما قال تعالى: {قل إنما أنا بشر مثلكم} [الكهف: 110]. [وقد وفى صلى الله عليه وسلم العبودية حقها، ومدحه الله بذلك، قال تعالى: {أليس الله بكاف عبده} [الزمر: 36]. [الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب} [الكهف: 1]. [سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام}. [الإسراء: 1]. [ومعنى الرسول: المبعوث إلى الناس كافة بالدعوة إلى الله بشيرًا ونذيرًا.

وفي الشهادة له بهاتين الصفتين: نفي للإفراط والتفريط في حقه صلى الله عليه وسلم، فإن كثيرًا ممن يدعي أنه من أمته أفرط في حقه، وغلا فيه؛ حتى رفعه فوق مرتبة العبودية إلى مرتبة العبادة له من دون الله؛ فاستغاث به من دون الله، وطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله؛ من قضاء الحاجات وتفريج الكربات. والبعض الآخر جحد رسالته أو فرط في متابعتها، واعتمد على الآراء والأقوال المخالفة لما جاء به؛ وتعسف في تأويل أخباره وأحكامه.

ثالثًا: شروط الشهادتين:

أ - شروط لا إله إلا الله:

لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها، وهي على سبيل الإجمال:

الأول: العلم المنافي للجهل.

الثاني: اليقين المنافي للشك.

الثالث: القبول المنافي للرد.

الرابع: الانقياد المنافي للترك.

الخامس: الإخلاص المنافي للشرك.

السادس: الصدق المنافي للكذب.

السابع: المحبة المنافية لصدها وهو البغضاء.

وأما تفصيلها فكما يلي:

الشرط الأول:

العلم: أي العلم بمعناها المراد منها وما تنفيه وما تثبتته، المنافي للجهل بذلك، قال تعالى: {إلا من شهد بالحق وهم يعلمون (86)}. [الزخرف: 86].

أي: (شهد) بلا إله إلا الله، (وهم يعلمون) بقلوبهم ما شهدت به ألسنتهم، فلو نطق بها وهو لا يعلم معناها، لم تنفعه؛ لأنه لم يعتقد ما تدل عليه.

الشرط الثاني:

اليقين: بأن يكون قائلها مستيقنًا بما تدل عليه؛ فإن كان شاكًا بما تدل عليه لم تنفعه، قال تعالى: {إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا}. [الحجرات: 15].

فإن كان مرتابًا كان منافقًا، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا قلبه فبشره بالجنة" [الحديث في الصحيح]. فمن لم يستيقن بها قلبه، لم يستحق دخول الجنة.

الشرط الثالث:

القبول لما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه؛ فمن قالها ولم يقبل ذلك ولم يلتزم به؛ كان من الذين قال الله فيهم: {إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون (35)} ويقولون إنا لتاركوا ءالتهنا لشاعر مجنون (36). [الصافات: 35، 36].

وهذا كحال عباد القبور اليوم؛ فإنهم يقولون: (لا إله إلا الله)، ولا يتركون عبادة القبور؛ فلا يكونون قابليين لمعنى لا إله إلا الله.

الشرط الرابع:

الانقياد لما دلت عليه، قال تعالى: {و من يسلم وجهه إلى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى}. [لقمان: 22].  
والعروة الوثقى: لا إله إلا الله؛ ومعنى يسلم وجهه: أي ينقاد لله بالإخلاص له.

الشرط الخامس:

الصدق: وهو أن يقول هذه الكلمة مصدقًا بها قلبه، فإن قالها بلسانه ولم يصدق بها قلبه؛ كان منافقًا كاذبًا، قال تعالى: {ومن الناس من يقول ءامنوا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين (8)} يخادعون الله والذين ءامنوا {إلى قوله: {ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (10)}. [البقرة: 8 - 10].

الشرط السادس:

الإخلاص: وهو تصفية العمل من جميع شوائب الشرك؛ بأن لا يقصد بقولها طمعًا من مطامع الدنيا، ولا رياء ولا سمعة؛ لما في

الحديث الصحيح من حديث عتبان قال: " فإن الله حرم علي النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله ". [الحديث أخرجه الشيخان. ]

الشرط السابع:

المحبة لهذه الكلمة، ولما تدل عليه، ولأهلها العاملين بمقتضاها، قال تعالى:

{ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين ءامنوا أشد حبا لله { . [البقرة: 165. ]  
فأهل (لا إله إلا الله) يحبون الله حبا خالصًا، وأهل الشرك يحبونه ويحبون معه غيره، وهذا ينافي مقتضى لا إله إلا الله.

ب - وشروط شهادة أن محمدًا رسول الله هي:

1 - الاعتراف برسالته، واعتقادها باطنًا في القلب.

2 - النطق بذلك، والاعتراف به ظاهرًا باللسان.

3 - المتابعة له؛ بأن يعمل بما جاء به من الحق، ويترك ما نهى عنه من الباطل.

4 - تصديقه فيما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلية.

5 - محبته أشد من محبة النفس والمال والولد والوالد والناس أجمعين.

6 - تقديم قوله على قول كل أحد، والعمل بسنته.

رابعًا: مقتضى الشهادتين:

أ - مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله: هو ترك عبادة ما سوى الله من جميع المعبودات، المدلول عليه بالنفي وهو قولنا: (لا إله). وعبادة الله وحده لا شريك له، المدلول عليه بالإثبات، وهو قولنا: (إلا الله)، فكثير ممن يقولها يُخالف مقتضاها؛ فثبت الإلهية المنفية للمخلوقين والقبور والمشاهد والطواغيت والأشجار والأحجار.

وهؤلاء اعتقدوا أن التوحيد بدعة، وأنكروه على من دعاهم إليه، وعابوا على من أخلصى الله عليه وسلم العبادة لله.

ب - ومقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته وتصديقُهُ، وترك ما نهى عنه، والاقتصار على العمل بسنته، وترك ما عداها من البدع والمحدثات، وتقديم قوله على قول كل أحد.

خامسًا: نواقض الشهادتين:

هي نواقض الإسلام؛ لأن الشهادتين هنا هما اللتان يدخل المرء بالنطق بهما في الإسلام، والنطق بهما اعتراف بمدلولهما، والتزام بالقيام بما تقضيانه؛ من أداء شعائر الإسلام، فإذا أخل بهذا الالتزام فقد نقض التعهد الذي تعهد به حين نطق بالشهادتين. ونواقض الإسلام كثيرةٌ قد عقد لها الفقهاء في كتب الفقه بابًا خاصًا سموه

(باب الردة )، وأهمها عشرة نواقض ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في قوله:

1 - الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء: 48، 116]. [، وقال تعالى: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (72)} [المائدة: 72]. [، ومنه الذبح لغير الله؛ كالذبح للأضحية أو الذبح للجن.

2 - من جعل بيته وبين الله وسائط؛ يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم؛ فإنه يكفر إجماعًا.

3 - من لم يكفر المشركين، ومن يشك في كفرهم، أو صح مذهبهم؛ كفر.

4 - من اعتقد أن هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكم الرسول صلى الله عليه وسلم، ويفضلون حكم القوانين على حكم الإسلام.

5 - من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم - ولو عمل به -؛ كفر.

6 - من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه؛ كفر، والدليل على ذلك قوله تعالى: {قل أبالله وءآيته ورسوله كنتم تستهزءون (65) لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم}. [التوبة: 65، 66]. [

7 - السحر، ومنه الصرف والعطف (لعله يقصد عمل ما يصرف الرجل عن حب زوجته، أو عمل ما يحبها إليه) فمن فعله، أو رضي به؛ كفر، والدليل قوله تعالى: {وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر}. [البقرة: 102]. [

8 - مظاهره المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (51)} [المائدة: 51]. [

9 - من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، عليه السلام؛ فهو كافر. قلت: وكما يعتقد غلاة الصوفية أنهم يصلون إلى درجة، لا يحتاجون معها إلى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

10 - الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: {والذين كفروا عما أنذروا معرضون (3)} [الأحقاف: 3]. [، {ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون (22)}. [السجدة: 22]. [

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (لا فرق في جميع هذه النواقض، بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره. وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذُ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه). [مجموعة التوحيد النجدية صلى الله عليه وسلم 37 - 39.]

## الفصل الثالث

### في التشريع

التشريع حق لله تعالى: والمراد بالتشريع: ما ينزله الله لعباده من المنهج الذي يسيرون عليه في العقائد والمعاملات وغيرها؛ ومن ذلك التحليل والتحریم، فليس لأحد أن يحل إلا ما أحله الله، ولا يحرم إلا ما حرم الله، قال تعالى: {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلل وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب} [النحل: 116]. [، وقال تعالى: {قل أرءيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون (59) }. [يونس: 59].

فقد نهى الله عن التحليل والتحریم: بدون دليل من الكتاب والسنة، وأخبر أن ذلك من الكذب على الله، كما أخبر سبحانه أن من أوجب شيئاً أو حرّم شيئاً من غير دليل؛ فقد جعل نفسه شريكاً لله فيما هو من خصائصه، وهو التشريع، قال تعالى: {أم لهم شركاؤا شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله}. [الشورى: 21].

ومن أطاع هذا المشرّع من دون الله وهو يعلم بذلك ووافقه على فعله، فقد أشركه مع الله، قال تعالى: {وإن أطعتموهم إنكم لمشركون (121) }. [الأنعام: 121].

يعني: الذين يُحلون ما حرّم الله من الميئات، من أطاعهم في ذلك فهو مشرك، كما أخبر سبحانه أن من أطاع الأحرار والرهبان في تحليل ما حرم الله، وتحریم ما أحله الله؛ فقد اتخذهم أرباباً ممن دون الله، قال تعالى: {اتخذوا أحرارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (31) }. [التوبة: 312].

ولما سمع عدي بن حاتم - رضي الله عنه - هذه الآية، قال: يا رسول الله، إنّنا لسنا نعبدهم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " أليسوا يُحلون ما حرّم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ " قال: بلى، قال: " فتلک عبادتهم ". [الحديث رواه الترمذي].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله -: (وفي الحديث دليل على أن طاعة الأحرار والرهبان في معصية الله؛ عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ بقوله تعالى في آخر الآية: {وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (31)}).

ونظير ذلك قوله تعالى: {ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه  
وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن  
أطعموهم إنكم لمشركون (121)}. [الأنعام: 121].  
وهذا وقع فيه كثيرٌ مِنَ النَّاسِ مع من قلدوهم؛ لعدم اعتبارهم  
الدليل إذا خالف المُقلدَ؛ وهو من هذا الشرك) انتهى.  
فالتزام شرع الله، وترك شرع ما سواه، هو من مقتضى لا إله إلا  
الله، والله المستعان.

## الفصل الرابع العبادة: معناها، شمولها

### 1 - معنى العبادة:

أصل العبادة التذلل والخضوع.

وفي اشرع: لها تعاريف كثيرة، ومعناها واحد...

منها: أنَّ العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على السنة رسله.

ومنها: أن العبادة، معناها: التذلل لله سبحانه فهي: غاية الذل لله تعالى مع غاية حبه، والتعريف الجامع لها هو أن العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وهي منقسمة على القلب واللسان والجوارح، فالخوف والرجاء، والمحبة والتوكل، والرغبة والرغبة: عبادة قلبية، والتسبيح والتهليل والتكبير، والحمد والشكر باللسان والقلب: عبادة لسانية قلبية. والصلاة والزكاة والحج والجهاد: عبادة بدنية قلبية، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي تجري على القلب واللسان والجوارح، وهي كثيرة.

والعبادة: هي التي خلق الله الخلق من أجلها، قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (56) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطمعون (57) إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (58) }. [الذاريات: 56 - 58.]

فأخبر سبحانه أن الحكمة من خلق الجن والإنس: هي قيامهم بعبادة الله، والله غني عن عبادتهم، وإنما هم المحتاجون إليها لفقرهم إلى الله تعالى، فيعبدونه على وفق شريعته، فمن أبى أن يعبد الله؛ فهو مستكبر. ومن عبده وعبد معه غيره؛ فهو مشرك. ومن عبده وحده بغير ما شرع؛ فهو مبتدع. ومن عبده وحده بما شرع فهو المؤمن الموحّد.

### 2 - أنواع العبادة وشمولها:

العبادة لها أنواع كثيرة؛ فهي تشمل كل أنواع الطاعات الظاهرة على اللسان والجوارح، والصادرة عن القلب؛ كالذكر والتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن، والصلاة والزكاة والصيام، والحج، والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين وابن السبيل، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاصه على الله عليه وسلم المدين له، والصبر لحكمه والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، فهي شاملة لكل تصرفات المؤمن؛ إذا نوى بها القربة أو ما يعين عليها. حتى العادات، إذا قصد بها التقوي على الطاعات، كالنوم والأكل والشرب، والبيع والشراء وطلب الرزق

والنكاح، فإن هذه العادات مع النية الصالحة تصيرُ عبادات؛ يثاب عليها، وليست العبادة قاصرة على الشعائر المعروفة.

## الفصل الخامس

في بيان مفاهيم خاطئة في تحديد العبادة

العبادات توفيقية، بمعنى: أنه لا يشرع شيء منها إلا بدليل من الكتاب والسنة، وما لم يشرع يعتبر بدعة مردودة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " [متفق عليه]. [أي مردود عليه عمله، لا يقبل منه، بل يأثم عليه؛ لأنه معصية وليس طاعة، ثم إن المنهج السليم في أداء العبادات المشروعة هو: الاعتدال بين التساهل والتكاسل؛ وبين التشدد والغلو. قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: { فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا }. [هو: 112. ]

فهذه الآية الكريمة فيها رسم لخطة المنهج السليم في فعل العبادات، وذلك بالاستقامة في فعلها على الطريق المعتدل؛ الذي ليس فيه إفراط ولا تفريط؛ حسب الشرع (كما أمرت) ثم أكد ذلك بقوله: (ولا تطغوا) والطغيان: مجاوزة الحد بالتشدد والتنطع، وهو الغلو. ولما علم صلى الله عليه وسلم بأن ثلاثة من أصحابه تقالوا في أعمالهم، حيث قال أحدهم: أنا أصول ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أصلي ولا أرقد، وقال الثالث: أنا لا أتزوج النساء. قال صلى الله عليه وسلم: " أما أنا فأصوم وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنتي فليس مني ". [الحديث متفق عليه. ]

وهناك الآن فئتان من الناس على طرفي نقيض في أمر العبادة. الفئة الأولى: قَصَّرَتْ في مفهوم العبادة وتساهلت في أدائها حتى عطلت كثيرًا من أنواعها، وقصرتها على أعمال محدودة، وشعائر قليلة تؤدي في المسجد فقط، ولا مجال للعبادة في البيت، ولا في المكتب، ولا في المتجر، ولا في الشارع، ولا في المعاملات، ولا في السياسة، ولا الحكم في المنازعات، ولا غير ذلك من شئون الحياة.

نعم للمسجد فضلٌ، ويجب أن تؤدي فيه الصلوات الخمس، ولكن العبادة تشمل كل حياة المسلم؛ داخل المسجد وخارجه. والفئة الثانية: تشددت في تطبيق العبادات إلى حد التطرف، فرفعت المستحبات إلى مرتبة الواجبات، وحَرَّمَتْ بعض المباحات، وحكمت بالتضليل أو التخطئة على من خالف منهجها، وخطأ مفاهيمها. وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها.

## الفصل السادس

في بيان ركائز العبودية الصحيحة

إن العبادة ترتكز على ثلاث ركائز هي: الحب والخوف والرجاء. فالحب مع الذل، والخوف مع الرجاء، لا بد في العبادة من اجتماع هذه الأمور، قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: {يحبهم ويحبونه} [المائدة: 54. ]، وقال تعالى: {والذين آمنوا أشد حبا لله}. [البقرة: 165. ]

وقال في وصف رُسُلِهِ وأنبياؤه: {إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين (90)}. [الأنبياء: 90. ] وقال بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري [أي: من الخوارج. ]، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحَّد. ذكر هذا شيخ الإسلام في رسالة (العبودية) وقال أيضًا: (فدينُ الله: عبادته وطاعته والخضوع له، والعبادة أصل معناها: الذل. يقال: طريقٌ مُعبَّدٌ، إذا كان مُدَلَّلاً قد وطئته الأقدام. لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل، ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية المذل لله تعالى، بغاية الحب له، ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما يُحبُّ الرجل ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله...) انتهى. [انظر: مجموعة التوحيد النجدية صلى الله عليه وسلم 549. ] هذه ركائز العبودية التي تدور عليها، قال العلامة ابن القيم في النونية:

وعبادةُ الرحمن غايةُ حُبِّه

مع دُلِّ عابدهُ هُما قطبان

وعليهما فلكُ العبادة دائرٌ

ما دار حتى قامتِ القطبان

ومدارُهُ بالأمرِ أمرِ رسولهِ

لا بالهوى والنفسِ والشيطانِ

شَبَّه - رَحْمَةُ اللَّهِ - دورانَ العبادة على المحبة والذل للمحبوب، وهو الله جلا وعلا؛ بدوران الفلك على قطبيه، وذكر أن دوران فلك العبادة بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وما شرعه، لا بالهوى، وما تأمر به النفس والشيطان، فليس ذلك من العبادة.

فما شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يدير فلك العبادة، ولا تُديره البدع والخرافات والأهواء وتقليد الآباء.

### 3 - توحيد الأسماء والصفات

ويتضمن ما يلي:

أولاً: الأدلة من الكتاب والسنة والعقل على ثبوت الأسماء والصفات.

ثانياً: منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته.

ثالثاً: لردُّ على من أنكر الأسماء والصفات، أو أنكر شيئاً منها.

أولاً: الأدلة من الكتاب والسنة والعقل على ثبوت الأسماء والصفات

أ - الأدلة من الكتاب والسنة:

سبق أن ذكرنا أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وذكرنا جملة من الأدلة على النوعين الأولين: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية. والآن نذكر الأدلة على النوع الثالث: وهو توحيد الأسماء والصفات.

فإليك شيئاً من أدلة الكتاب والسنة: فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (180)}. [الأعراف: 180].

أثبت الله سبحانه في هذه الآية لنفسه الأسماء، وأخبر أنها حسنى. وأمر بدعائه؛ بأن يُقال: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا حي يا قيوم، يا رب العالمين. وتوعد الذين يُلحدون في أسمائه؛ بمعنى أنهم يميلون بها عن الحق؛ إما بنفيها عن الله، أو تأويلها بغير معناها الصحيح، أو غير ذلك من أنواع الإلحاد. توعدهم بأنه سيُجازيهم بعملهم السيء.

وقال تعالى: {الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى (8)} [طه: 8]. {هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (22)} هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون (23)} هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (24)}. [الحشر: 22 - 24].

فدلّت هذه الآيات على إثبات الأسماء لله.

2 - ومن الأدلة على ثبوت أسماء الله من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة ". [متفق عليه]. وليست أسماء الله منحصرة في هذا العدد، بدليل ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي " الحديث. [رواه أحمد في المسند وصححه ابن حبان - وقد دل على عدم حصر أسماء الله في تسعة وتسعين. فيكون المراد بالحديث - والله أعلم - أن من تعلم هذه الأسماء

التسعة والتسعين ودعا الله بها وعبده بها دخل الجنة ويكون ذلك خاصة لها. ]

وكل اسم من أسماء الله، فإنه يتضمن صفة من صفاته؛ فالعليم يدل على العلم، والحكيم يدل على الحكمة، والسَّمِيعُ البصير يدلان على السمع والبصر، وهكذا كلُّ اسم يدل على صفة من صفات الله تعالى، وقال تعالى: {قل هو الله أحد (1) الله الصمد (2) لم يلد ولم يولد (3) ولم يكن له كفواً أحد (4)}. [سورة الإخلاصلى الله عليه وسلم. ]

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجلٌ من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به؛ افتتح بـ (قل هو الله أحد)، حتى يفرغ منها، ثم كان يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلَّمهُ أصحابُهُ فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنه تجزئك حتى تقرأ بالأخرى! فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتهم أن أوامكم بذلك فعلتُ، وإن كرهتم تركتكم، فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر. فقال: " يا فلانُ، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرُك به أصحابُك؟ وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ " قال: إني أحبها، قال: " حبُّك إياها أدخلك الجنة ". [رواه البخاري في صحيحه. ]

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ (قل هو الله أحد)، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: " سلوه: لأي شيء يفعل ذلك؟ " فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أخبروه أن الله تعالى يحبها " [رواه البخاري في صحيحه. ] يعني أنها اشتملت على صفات الرحمن.

وقد أخبر سبحانه أن له وجهًا، قال {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام (27)}. [الرحمن: 27. ]

وأن له يدين، فقال: {لما خلقت بيدي} [صلى الله عليه وسلم: 75. ]، {بل يداه مبسوطتان}. [المائدة: 64. ]

وأنه يرضي ويحب ويغضب ويسخط، إلى غير ذلك مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

ب - وأما الدليل العقلي على ثبوت الأسماء والصفات التي دلَّ عليها الشرع فهو أن يُقال:

1 - هذه المخلوقات العظيمة على تنوعها، واختلافها، وانتظامها في أداء مصالحها، وسيرها في خططها المرسومة لها، تدل على عظمة الله وقدرته، وعلمه وحكمته، وإرادته ومشئته.

- 2 - الإنعام والإحسان، وكشف الضر، وتفريج الكربات؛ هذه الأشياء تدل على الرحمة والكرم والجود.
- 3 - والعقاب والانتقام من العصاة؛ يدلان على غضب الله عليهم وكرهيته لهم.
- 4 - وإكرامُ الطائعين وإثابتهم؛ يدلان على رضا الله عنهم ومحبتهم لهم.

ثانيًا: منهجُ أهل السنَّة والجماعة في أسماء الله وصفاته  
منهجُ أهل السنَّة والجماعة؛ من السلف الصالح وأتباعهم: إثباتُ  
أسماءِ الله وصفاته، كما وردت في الكتاب والسنة، وبنيني منهجهم  
على القواعد التالية:

1 - أنهم يُثبتون أسماء الله وصفاته؛ كما وردت في الكتاب والسنة  
على ظاهرها، وما تدل عليه ألفاظها من المعاني، ولا يؤولونها عن  
ظاهرها، ولا يُحرفون ألفاظها ودلالاتها عن مواضعها.

2 - ينفون عنها مشابهة صفات المخلوقين، كما قال تعالى: {ليس  
كمثله شيء وهو السميع البصير (11)} [الشورى: 11].

3 - لا يتجاوزون ما ورد في الكتاب والسنة؛ في إثبات أسماء الله  
وصفاته، فما أثبتته الله ورسوله من ذلك أثبتوه، وما نفاه الله  
ورسوله نفوه، وما سَكَتَ عنه الله ورسوله سَكُّوا عنه.

4 - يَعْتَقِدُونَ أَنَّ نصوصَ الله عليه وسلم الأسماءِ والصفات من  
المحكم الذي يُفهم مَعْنَاهُ وَيُفَسَّرُ، وليسَتْ من المتشابه؛ فلا  
يُفَوِّضُونَ مَعْنَاهَا، كما يَنْسَبُ ذلكَ إليهم مَن كَذَّبَ عليهم، أو لم  
يعرف منهجهم من بعض المؤلفين والكتاب المعاصرين.

5 - يُفَوِّضُونَ كيفية الصفات إلى الله تعالى، ولا يبحثون عنها.

ثالثًا: الرُّدُّ على من أنكَرَ الأسماءَ والصفاتِ، أو أنكر بعضها الذين يُنكرون الأسماءَ والصفاتِ ثلاثة أصناف:

1 - الجهمية: وهم أتباع الجهم بن صفوان، وهؤلاء يُنكرون الأسماء والصفات جميعًا.

2 - المعتزلة: وهم أتباع واصل بن عطاء؛ الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وهؤلاء يُثبتون الأسماءَ على أنها ألفاظٌ مُجرّدة عن المعاني، وينفون الصفات كلها.

3 - الأشاعرة [هم أتباع مذهب أبي الحسن الأشعري - قبل رجوعه إلى مذهب أهل السنة - ولم يرجعوا عما رجع عنه، فانتسابهم إليه غير صحيح.] والماتوريدية [هم أتباع أبي منصور الماتوريدي.] ومن تبعهم، وهؤلاء يُثبتون الأسماءَ وبعضَ الصِّفاتِ، وينفون بعضَها، والشبهة التي بنوا عليها جميعًا مذاهبهم: هي الفراغ من تشبيه الله بخلقه بزعمهم؛ لأن المخلوقين يُسمَّون ببعض تلك الأسماء، ويوصفون بتلك الصفات، فيلزمُ من الاشتراك في لفظ الاسم والصفة ومعناهما: الاشتراك في حقيقتهما، وهذا يلزمُ منه تشبيه المخلوق بالخالق في نظرهم، والتزموا حيال ذلك أحد أمرين:

أ - إما تأويلُ نصوصِ الله عليه وسلم الأسماء والصفات عن ظاهرها، كتأويل الوجه بالذات، واليد بالنعمة.

ب - وإما تفويض معاني هذه النصوصِ لله عليه وسلم إلى الله، فيقولون: الله أعلم بمراده منها؛ مع اعتقادهم أنها ليست على ظاهرها.

وأول من عُرفَ عنه إنكار الأسماء والصفات: بعضُ مشركي العرب، الذين أنزل الله فيهم قوله تعالى: {كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أُمم لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن}. [الرعد: 30.]

وسببُ نزول هذه الآية: أنَّ قريشًا لما سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن؛ أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: {وهم يكفرون بالرحمن}. وذكر ابن جرير أن ذلك كان في صلح الحديبية؛ حين كتب الكاتبُ في قضية الصلح الذي جرى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بسم الله الرحمن الرحيم" فقالت قريش: أما الرحمن فلا تعرفه.

وروى ابنُ جرير أيضًا عن ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ساجدًا يقول: "يا رحمن يا رحيم" فقال المشركون: هذا يرعّمُ أنه يدعو واحدًا، وهو يدعو مثني. فأنزل الله: {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنی}. [الإسراء: 110.]



عزيز (40) { [الحج: 40]. } إن الله هو المرزاق ذو القوة المتين ( 58) { [الذاريات: 58. ]، ووصف عبادة بالقوة فقال: {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة} [الروم: 54. ]، إلى غير ذلك. ومعلوم أن أسماء الله وصفاته تخصه وتليق به، وأسماء المخلوقين تخصهم وتليق بهم، ولا يلزم من الاشتراك في الاسم والمعنى الاشتراك في الحقيقة؛ وذلك لعدم التماثل بين المُسَمَّين والموصوفين، وهذا ظاهر، والحمد لله.

الوجه الثالث:  
أَنَّ الَّذِي لَيْسَ لَهُ صِفَاتُ كَمَالٍ، لَا يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا؛ وَلِهَذَا قَالَ  
إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ: {لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ}. [مريم: 42].  
وَقَالَ تَعَالَى فِي الرَّدِّ عَلَيَّ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعَجَلَ: {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا  
يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا}. [الأعراف: 148].

الوجه الرابع:  
أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ كَمَالًا، وَنَفْيَهَا نَقْضًا عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالَّذِي  
لَيْسَ لَهُ صِفَاتٌ، إِمَّا مَعْدُومٌ وَإِمَّا نَاقِضٌ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللَّهُ  
تَعَالَى مُنْزَهٌ عَنِ ذَلِكَ.

الوجه الخامس:  
أَنَّ تَأْوِيلَ الصِّفَاتِ عَنِ ظَاهِرِهَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، فَهُوَ بَاطِلٌ، وَتَفْوِيضُ  
مَعْنَاهَا؟ يَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّ اللَّهَ خَاطِبُنَا فِي الْقُرْآنِ بِمَا لَا نَفْهَمُ مَعْنَاهُ، مَعَ  
أَنَّهُ أَمَرْنَا أَنْ نَدْعُوهُ بِأَسْمَائِهِ، فَكَيْفَ نَدْعُوهُ بِمَا لَا نَفْهَمُ مَعْنَاهُ؟  
وَأَمَرْنَا بِتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ، فَكَيْفَ يَأْمُرُنَا بِتَدْبِيرِ مَا لَا يُفْهَمُ مَعْنَاهُ؟  
فَتَبِينِ مِنْ هَذَا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ إِثْبَاتِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ عَلَى الْوَجْهِ  
اللَّائِقِ بِاللَّهِ، مَعَ نَفْيِ مِشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَيْسَ  
كَمِثْلَهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11)}. [الشورى: 11].  
فَنَفَى عَنِ نَفْسِهِ مُمَاتِلَةَ الْأَشْيَاءِ، وَأَثْبَتَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، فَدَلَّ  
عَلَى أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ التَّشْبِيهِ، وَعَلَى وَجُوبِ إِثْبَاتِ  
الصِّفَاتِ مَعَ نَفْيِ الْمِشَابَهَةِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ  
فِي النَفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: إِثْبَاتُ بَلَا تَمَثِيلٍ وَتَنْزِيهِ  
بَلَا تَعْطِيلٍ.

## الباب الثالث

في بيان الشرك والانحراف في حياة البشرية  
ولمحة تاريخية عن الكفر والإلحاد والشرك والتُّفاق  
ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول: الانحراف في حياة البشرية.

الفصل الثاني: الشرك - تعريفه وأنواعه.

الفصل الثالث: الكفر - تعريفه وأنواعه.

الفصل الرابع: النفاق - تعريفه وأنواعه.

الفصل الخامس: بيان حقيقة كل من: الجاهلية - الفسق - الضلال -  
الردة: أقسامها، وأحكامها.

## الفصل الأول

### الانحراف في حياة البشرية

خلق الله الخلق لعبادته، وهياً لهم ما يعينهم عليها من رزقه، قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (56) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (57) إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (58) }. [الذاريات: 56 - 58. ]

والنفسُ بفطرتها إذا تركت؛ كانت مقرة لله بالإلهية، مُحَبَّةً لله، تَعْبُدُهُ لا تُشْرِكُ به شيئاً، ولكن يفسها وينحرف بها عن ذلك ما يُزَيِّنُ لها شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، فالتوحيد مركزوز في الفطرة، والشرك طارئ ودخيل عليها، قال الله تعالى: { فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله }. [الروم: 30. ]

وقال صلى الله عليه وسلم: " كل مولود يُولدُ على الفطرة فأبواه يهودانه، أو يُنصرانه، أو يُمجسانه " [في الصحيحين من حديث أبي هريرة. ]. فالأصلُ في بني آدم: التوحيد.

والدينُ الإسلام وكان عليه آدم عليه السلام، ومنْ جاءَ بَعْدَهُ من دُرَيْبته قُرُونًا طويلة، قال تعالى: {كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين }. [البقرة: 213. ]

وأول ما حدث الشرك والانحراف عن العقيدة الصحيحة في قوم نوح، فكان عليه السلام أول رسول إلى البشرية بعد حدوث الشرك فيها: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده }. [النساء: 163. ]

قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون؛ كلهم على الإسلام.

قال ابن القيم [إغاثة اللهفان (2/102) .]: [وهذا القول هو الصواب قطعاً؛ فإنَّ قراءة أبي بن كعبٍ - يَعْنِي: في آية البقرة -: (فاختلفوا فبعث الله النبيين).

ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى في سورة يونس: {وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا} . [يونس: 19. ]

يريد - رَحْمَةُ اللهِ - أَنْ بَعَثَ اللهُ النبيين سببها الاختلاف عما كانوا عليه من الدين الصحيح، كما كانت العربُ بعد ذلك على دين إبراهيم عليه السلام؛ حتّى جاء عمرو بن لحي الخزاعي فغير دين إبراهيم، وجلب الأصنام إلى أرض العرب، وإلى أرض الحجاز بصفة خاصة، فَعُبِدت من دون الله، وانتشر الشرك في هذه البلاد المقدسة، وما جاورها؛ إلى أن بعث الله نبيه محمداً خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم فدعا الناس إلى التوحيد، واتباع ملة إبراهيم، وجاهد في الله حق جهاده؛ حتى عادت عقيدة التوحيد وملة إبراهيم، وكسر

الأصنام وأكمل الله به الدين، وأتم به النعمة على العالمين، وسارت على نهج القرون المفضلة من صدر هذه الأمة؛ إلى أن فشا الجهل في القرون المتأخرة، ودخلها المدخيل من المديانات الأخرى، فعاد الشرك إلى كثير من هذه الأمة؛ بسبب دعاة الضلالة، وبسبب البناء على القبور، متمثلاً بتعظيم الأولياء والصالحين، وادعاء المحبة لهم؛ حتى بنيت الأضرحة على قبورهم، واتخذت أوثاناً تُعبَدُ من دون الله، بأنواع القُرْبَات من دعاء واستغاثة، وذبح ونذر لمقامهم. وسَمُوا هذا الشرك: تَوْسُّلاً بالصالحين، وإظهاراً لمحبتهم، وليس عبادة لهم، بزعمهم، ونسوا أن هذا هو قول المشركين الأولين حيث يقولون: { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى }. [الزمر: 3.]

ومع هذا الشرك الذي وقع في البشرية قديماً وحديثاً، فالأكثرية منهم يؤمنون بتوحيد الربوبية، وإنما يشركون في العبادة، كما قال تعالى: { وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (106) }. [يوسف: 106.]

ولم يجحد وجودَ الرب إلا نزرٌ يسير من البشر، كفرعون والملاحدة الدهريين، والشيوخيين في هذا الزمان، وجحودهم به من باب المكابرة؛ وإلا فهم مضطرون للإقرار به في باطنهم، وقرارة نفوسهم، كما قال تعالى: { وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً }. [النمل: 14.]

وعقولهم تعرف أن كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد، وأن نظام هذا الكون المنضبط الدقيق لا بد له من مدبر حكيم، قدير عليم، من أنكره فهو إما فاقد لعقله، أو مكابر قد ألغى عقله وسفه نفسه، وهذا لا عبرة به.

## الفصل الثاني الشرك: تعريفه، أنواعه أ - تعريفه:

الشرك هو: جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته. والغالب الإشراف في الألوهية؛ بأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة، كالذبح والنذر، والخوف والرجاء والمحبة. والشركُ أعظمُ الذنوب؛ وذلك لأمر:

1 - لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائصه التي هي لله عليه وسلم الإلهية، فمن أشرك مع الله أحداً فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: {إن الشرك لظلم عظيم (13)}. [لقمان: 13].  
والظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه، فمن عبد غير الله؛ فقد وضع العبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها، وذلك أعظم الظلم.

2 - أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}. [النساء: 48].

3 - أن الله أخبر أنه حرّم الجنة على المشرك، وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار}. [المائدة: 72].

4 - أن الشرك يُحبط جميع الأعمال، قال تعالى: {ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون (88)}. [الأنعام: 88].

وقال تعالى: {ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين (65)}. [الزمر: 65].  
5 - أن المشرك حلال الدم والمال، قال تعالى: {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد}. [التوبة: 5].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أقاتل حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ". [رواه البخاري ومسلم].

6 - أن الشرك أكبر الكبائر، قال صلى الله عليه وسلم: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر " قلنا: بلى يا رسول الله، قال: " الإشراف بالله، وعقوق الوالدين... " الحديث [رواه البخاري ومسلم].

قال العلامة ابن القيم: [الجواب الكافي صلى الله عليه وسلم 109]. (أخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر: أن يُعرفَ بأسمائه وصفاته، ويُعبَدَ وحده لا يُشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، كما قال تعالى: {لقد

أرسلنا رسلنا بالبيانات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط .{ [الحديد: 25. ]

فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله، وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل، ومن أعظم القسط: التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه؛ وإن الشرك ظلّم كما قال تعالى: {إن الشرك لظلم عظيم (13) } . [لقمان: 13. ]

فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاةً لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر).

إلى أن قال: (فلما كان الشرك منافياً بالذات لهذا المقصود؛ كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرّم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيداً لهم لما تركوا القيام بعبوديته، وأبى الله سبحانه أن يقبل لمشرك عملاً، أو يقبل فيه شفاعة، أو يستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقبل له فيها رجاء؛ فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله، حيث جعل له من خلقه ندًا، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المشرك في الواقع لم يظلم ربّه، وإئّما ظلّم نفسه) انتهى.

7 - أنّ الشرك تنقضى الله عليه وسلم وعيب نزه الرب سبحانه نفسه عنهما، فمن أشرك بالله فقد أثبت لله ما نزه نفسه عنه، وهذا غاية المحادّة لله تعالى، وغاية المعاندة والمشاقّة لله.

ب - أنواع الشرك:

الشرك نوعان:

النوع الأول: شرك أكبر يُخرج من الملة، ويخلدُ صاحبه في النار، إذا مات ولم يتب منه، وهو صرفُ شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء غير الله، والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من القبور والجن والشياطين، والخوف من الموتى أو الجن أو الشياطين أن يضروه أو يُمرضوه، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات، وتفريج الكُربات، مما يُمارسُ الآن حول الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين، قال تعالى: {ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون (18) } . [يونس: 18. ]

والنوع الثاني: شرك أصغر لا يخرج من الملة؛ لكنه ينقضى الله عليه وسلم التوحيد، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر على اللسان والجوارح وهو: ألفاظ وأفعال، فالألفاظ كالحلف بغير الله، قال صلى الله عليه وسلم: " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك " [رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم. ] . وقول: ما شاء الله وشئت، قال صلى الله عليه

وسلم: لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: "أجعلتني لله ندًا؟! قُلْ: ما شاءَ الله وحده". [رواه النسائي]. وقول: لولا الله وفلان، والصوابُ أن يُقالَ: ما شاءَ الله ثم شاءَ فلان؛ ولولا الله ثم فلان، لأن (ثم) تفيذُ الترتيب مع التراخي، وتجعلُ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، كما قال تعالى: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين (29)}. [التكوير: 29].

وأما الواو: فهي لمطلق الجمع والاشتراك، لا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا؛ ومثله قول: ما لي إلا الله وأنت، و: هذا من بركات الله وبركاتك.

وأما الأفعال: فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمام خوفًا من العين وغيرها؛ إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه، فهذا شرك أصغر؛ لأن الله لم يجعل هذه أسبابًا، أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها؛ فهذا شرك أكبر لأنه تعلق بغير الله.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإرادات والنيات، كالرياء والسمعة، كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله؛ يريد به ثناء الناس عليه، كأنه يحسن صلته، أو يتصدق؛ لأجل أن يمدح ويثنى عليه، أو يتلفظ بالذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس، فيثنوا عليه ويمدحوه. والرياء إذا خالط العمل أبطله، قال الله تعالى: {فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا (110)}. [الكهف: 110]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أخوفُ ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر" قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: "الرياء". [رواه أحمد والطبراني والبخاري في شرح السنة].

ومنه: العمل لأجل الطمع الدنيوي، كمن يحج أو يؤذن أو يؤم الناس لأجل المال، أو يتعلم العلم الشرعي، أو يجاهد لأجل المال. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تَعَسَّ عبدُ الدينارِ، وتَعَسَّ عبدُ الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يُعطَ سخط". [رواه البخاري].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وأما الشرك في الإرادات والنيات، فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه. فمن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئاً غري التقرّب إليه وطلب الجزاء منه؛ فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص لله عليه وسلم: أن يُخلصي الله عليه وسلم لله في أفعاله وأقواله، وإرادته ونيته. وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يُقبل من أحدٍ غيرها، وهي حقيقة الإسلام، كما قال تعالى:

{ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من  
الخاسرين (85) }. [آل عمران: 85].

وهي ملة إبراهيم - عليه السلام - التي من رغب عنها فهو من  
أسفها السُّفهاء) [الجواب الكافي صلى الله عليه وسلم 115].  
انتهى.

يتلخص صلى الله عليه وسلم مما مر أن هناك فروقاً بين الشرك  
الأكبر والأصغر، وهي:

1 - الشرك الأكبر: يُخرج من الملة، والشرك الأصغر لا يُخرج من  
الملة، لكنه ينقص صلى الله عليه وسلم التوحيد.

2 - الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، والشرك الأصغر لا يُخلد  
صاحبه فيها إن دخلها.

3 - الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والشرك الأصغر لا يحبط  
جميع الأعمال، وإنما يحبط الرياء والعمل لأجل الدنيا العمل الذي  
خالطاه فقط.

4 - الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيحهما.

## الفصل الثالث

الكفر: تعريفه - أنواعه

أ - تعريفه:

الكفر في اللغة: التغطية والستر، والكفر شرعًا: ضد الإيمان، فإن الكفر: عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل مجرد شك وريب أو إعراض أو حسد، أو كبر أو اتباع لبعض الأهواء الصادرة عن اتباع الرسالة. وإن كان المكذب أعظم كفرًا، وكذلك الجاحد والمكذب حسدًا؛ مع استيقان صدق الرسل. [مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (12/335)].

ب - أنواعه:

الكفر نوعان: النوع الأول: كفر أكبر يخرج من الملة، وهو خمسة أقسام:

القسم الأول: كفر التكذيب، والدليل: قوله تعالى: {ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين (68)}. [العنكبوت: 68].

القسم الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى: {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (34)}. [البقرة: 34].

القسم الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل قوله تعالى: {ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا (35) وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلي ربي لأجدن خيرًا منها منقلبًا (36) قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً (37) لكننا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدًا (38)}. [الكهف: 35 - 38].

القسم الرابع: كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى: {والذين كفروا عما أُنذروا معرضون (3)}. [الأحقاف: 3].

القسم الخامس: كفر النفاق، والدليل قوله تعالى: {ذلك بأنهم ءامنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون}. [المنافقين: 3].

النوع الثاني: كفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو الكفر العملي، وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفرًا، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، مثل كفر النعمة المذكور في قوله تعالى: {وضرب الله مثلا قرية كانت ءامنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله}. [النحل: 112].

ومثل قتال المسلم المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم: " سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر ". [رواه البخاري ومسلم].

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: " لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض ". [رواه الشيخان. ]

ومثل الحلف بغير الله، قال صلى الله عليه وسلم: " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ". [رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم. ]

فقد جعل القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخا لولي القصاص صلى الله عليه وسلم فقال: { فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان }. [البقرة: 178. ]  
والمراد: أخوة الدين، بلا ريب.

وقال تعالى: { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما }. [الحجرات: 9. ]

إلى قوله: { إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم }. [الحجرات: 10. ]

انتهى من شرح الطحاوية [صفحة (361) ط المكتب الإسلامي.] باختصار.

وملخص صلى الله عليه وسلم الفروق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر:

1 - أن الكفر الأكبر يخرج من الملة، ويحبط الأعمال، والكفر الأصغر لا يخرج من الملة ولا يحبط الأعمال، لكن ينقصها بحسبه، ويعرض صاحبها للوعيد.

2 - أن الكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار، والكفر الأصغر إذا دخل صاحبه النار، فإنه لا يخلد فيها؛ وقد يتوب الله على صاحبه، فلا يدخله النار أصلاً.

3 - أن الكفر الأكبر يبيح الدم والمال، والكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال.

4 - أن الكفر الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب، وأما الكفر الأصغر فإنه لا يمنع الموالاتة مطلقاً، بل صاحبه يُحَبُّ ويُوَالَى بقدر ما فيه من الإيمان، ويبغض ويُعادى بقدر ما فيه من العصيان.

## الفصل الرابع النفاق: تعريفه، أنواعه

أ - تعريفه:

النفاق لغة: مصدر نافع، يُقال: نافع يُناقف نفاقًا ومناقفة، وهو مأخوذ من النافقاء: أحد مخارج اليربوع من جحره؛ فإنه إذا طلب من مخرج هرب إلى الآخر، وخرج منه، وقيل: هو من النفق وهو: السرب الذي يستتر فيه. [النهاية لابن الأثير (5/98) بمعناه. ]  
وأما النفاق في الشرع فمعناه: إظهار الإسلام والخير، وإبطان الكفر والشرك؛ سمي بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب، ويخرج منه من باب آخر، وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله: {إن المنافقين هم الفاسقون (67)}. [التوبة: 67. ]  
أي: الخارجون من الشرع.

وجعل الله المنافقين شرًا من الكافرين فقال: {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار}. [النساء: 145. ]  
وقال تعالى: {إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم} [النساء: 142. ]، {يخادعون الله والذين ءامنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (9) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (10)}. [البقرة: 9، 10. ]  
ب - أنواع النفاق:

النفاق نوعان: النوع الأول: النفاق الاعتقادي: وهو النفاق الأكبر الذي يُظهر صاحبه الإسلام، ويُبطن الكفر، وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وقد وصف الله أهله بصفات الشر كلها: من الكفر وعدم الإيمان، والاستهزاء بالدين وأهله، والسخرية منهم، والميل بالكلية إلى أعداء الدين؛ لمشاركتهم لهم في عدواة الإسلام. وهؤلاء موجودون في كل زمان، ولا سيما عندما تظهر قوة الإسلام ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر، فإنهم يظهرون الدخول فيه؛ لأجل الكيد له ولأهله في الباطن؛ ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويأمنوا على دمائهم وأموالهم؛ فيظهر المنافق إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به، لا يؤمن بالله، ولا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس يهديهم بإذنه، وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه، وقد هتك الله أستار هؤلاء المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن الكريم، وجلى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر. وذكر طوائف العالم الثلاث في أول البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة

فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدًا، لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح، وهو غاية الجهل والفساد. [من رسالة لابن القيم في بيان صفات المنافقين.]

وهذا النفاق ستة أنواع [مجموعة التوحيد النجدية صفحة (9)].:

- 1 - تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم.
  - 2 - تكذيب بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.
  - 3 - بُغْضُ الرسول صلى الله عليه وسلم.
  - 4 - بغضُ بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.
  - 5 - المسرَّة بانخفاض دين الرسول صلى الله عليه وسلم.
  - 6 - الكراهية لانتصار دين الرسول صلى الله عليه وسلم.
- النوع الثاني: النفاق العملي: وهو عمل شيء من أعمال المنافقين؛ مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يُخرج من الملة، لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكونُ فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر؛ صارَ بسببه منافقًا خالصًا، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: " أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر ". [متفق عليه.]
- فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع، فقد اجتمع فيه الشر، وخلصت فيه نعوت المنافقين، ومن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق، فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير، وخصال شر، وخصال إيمان، وخصال كفر ونفاق، ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك.
- ومنه: التكاثر عن الصلاة مع الجماعة في المسجد؛ فإنه من صافت المنافقين، فالنفاق شر، وخطير جدًا، وكان الصحابة يتخوفون من الوقوع فيه، قال ابن أبي مليكة: (أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه).

الفرق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

- 1 - إن النفاق الأكبر يخرج من الملة، والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة.
- 2 - إن النفاق الأكبر: اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر: اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.
- 3 - إن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

4 - إن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه، ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم. بخلاف النفاق الأصغر؛ فإن صاحبه قد يتوب إلى الله، فيتوب الله عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية [انظر: كتاب الإيمان، صفحة 238.]: (وكثيرًا ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق، ثم يتوبُ الله عليه، وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق، ويدفعه الله عنه، والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان، وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره، كما قال الصحابة: يا رسول الله، إن أحدنا ليجد في نفسه ما لئن يخر من السماء إلى الأرض، أحب إليه من أن يتكلم به، فقال: " ذلك صريح الإيمان " [رواه أحمد ومسلم.]. وفي رواية: ما يتعاضم أن يتكلم به، قال: " الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة "، أي حصول هذا الوسواس، مع هذه الكراهة العظيمة، ودفعه عن القلب، هو من صريح الإيمان) انتهى.

وأما أهل النفاق الأكبر، فقال الله فيهم: {صم بكم عمي فهم لا يرجعون (18)} [البقرة: 18]. أي: إلى الإسلام في الباطن، وقال تعالى فيهم: {أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون (126)}. [التوبة: 126]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر؛ لكون ذلك لا يُعلم، إذ هم دائمًا يظهرون الإسلام). [انظر: مجموع الفتاوى (28/434 - 435).]

## الفصل الخامس

بيان حقيقة كل من

الجاهلية - الفسق - الضلال - الردة: أقسامها، أحكامها

أ - الجاهلية:

هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام؛ من الجهل بالله ورسوله، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب، والكبر والتجبر، وغير ذلك [النهاية لابن الأثير (1/323)]. [، نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً، فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً، فإن قال خلاف الحق عالمًا بالحق، أو غير عالم، فهو جاهل أيضاً، فإذا تبين ذلك فالناس قبل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا في جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال، إنما أحدثه لهم جاهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال، إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل، وكذلك كل ما يخالف ما جاء به المرسلون، من يهودية ونصرانية، فهو جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة.

فأما بعد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فقد تكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخصي الله عليه وسلم دون شخصي الله عليه وسلم، كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية، وإن كان في دار الإسلام، فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة، والجاهلية المقيدة قد توجد في بعض ديار المسلمين، وفي كثير من الأشخاص صلى الله عليه وسلم المسلمين، كما قال صلى الله عليه وسلم: " أربع في أمتي من أمر الجاهلية... " [رواه مسلم]. وقال لأبي ذر: " إنك امرؤ فيك جاهلية " [في الصحيحين]. [ونحو ذلك] [اقتضاء الصراط المستقيم (1/255 - 227) تحقيق الدكتور ناصر العقل]. انتهى.

وملخصي الله عليه وسلم ذلك: أن الجاهلية: نسبة إلى الجهل، وهو عدم العلم، وأنها تنقسم إلى قسمين:

1 - الجاهلية العامة: وهي ما كان قبل مبعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقد انتهت ببعثته.

2 - جاهلية خاصة ببعض الدول، وبعض البلدان، وبعض الأشخاص صلى الله عليه وسلم، وهذه لا تزال باقية، وبهذا يتضح خطأ من يُعمّمون الجاهلية في هذا الزمان فيقولون: جاهلية هذا القرن أو جاهلية القرن العشرين، وما شابه ذلك، والصواب أن يُقال: جاهلية بعض

أهل هذا القرن، أو غالب أهل هذا القرن؛ وأما التعميم فلا يصح ولا يجوز؛ لأنه ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم زالت الجاهلية العامة.  
2 - الفسق:

الفسق لغة: الخروج، والمراد به شرعًا: الخروج عن طاعة الله، وهو يشمل الخروج الكلي، فيقال للكافر: فاسق، والخروج الجزئي؛ فيقال للمؤمن المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب: فاسق. فالفسق فسقان: فسق ينقل عن الملة، وهو الكفر، فيسمى الكافر فاسقًا، فقد ذكر الله إبليس فقال: {فسق عن أمر ربه} [الكهف: 50]، وكان ذلك الفسق منه كفرًا.

وقال الله تعالى: {وأما الذين فسقوا فمأواهم النار}، يريد الكفار، دل على ذلك قوله: {كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيديا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون (20)}. [السجدة: 20].

ويسمى مرتكب الكبيرة من المسلمين: فاسقًا، ولم يخرج فاسقه من الإسلام، قال الله تعالى: {والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم أبدًا وأولئك هم الفاسقون (4)}. [النور: 4].

وقال تعالى: {فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج}. [البقرة: 196].

وقال العلماء في تفسير الفسوق هنا: هو المعاصي. [كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية صلى الله عليه وسلم 378].  
3 - الضلال:

الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، وهو ضد الهداية، قال تعالى: {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها}. [الإسراء: 15].

والضلال يطلق على عدة معان:

1 - فتارة يُطلق على الكُفر، قال تعالى: {ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيدًا}. [النساء: 136].

2 - وتارة يُطلق على الشرك، قال تعالى: {ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدًا (116)}. [النساء: 116].

3 - وتارة يُطلق على المخالفة التي هي دون الكفر، كما يقال: الفرق الضالة: أي المخالفة.

4 - وتارة يُطلق على الخطأ، ومنه قول موسى عليه السلام: {فعلتها إداً وأنا من الضالين (20)}. [الشعراء: 20].

5 - وتارة يُطلق على النسيان، ومنه قوله تعالى: {أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى}. [البقرة: 282].

6 - ويُطلقُ الضلالُ على الضياع والغيبة، ومنه: ضالة الإبل. [صلى الله عليه وسلم 297 - 298 من المفردات للراغب. ]

4 - الردة وأقسامها وأحكامها:

الردة لغة: الرجوع، قال تعالى: {ولا تترددوا على أدباركم}. [المائدة: 21. ]

أي: لا ترجعوا، والردة في الاصطلاح الشرعي هي: الكفر بعد الإسلام، قال تعالى: {ومن يتردد منك عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (217)}. [البقرة: 217. ]

أقسامها: الردة تحصل بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، ونواقض الإسلام كثيرة ترجع إلى أربعة أقسام، هي:

1 - الردة بالقول: كسبِ الله تعالى، أو رسوله صلى الله عليه وسلم، أو ملائكته، أو أحد من رسله. أو ادّعاء علم الغيب، أو ادّعاء النبوة، أو تصديق من يدعيها. أو دعاء غير الله، أو الاستعانة به فيما لا يقدر عليه إلا الله، والاستعاذة به في ذلك.

2 - الردة بالفعل: كالسجود للصنم والشجر، والحجر والقبور، والذبح لها. وإلقاء المصحف في المواطن القذرة، وعمل السحر، وتعلمه وتعليمه، والحكم بغير ما أنزل الله معتقداً حله.

3 - الردة بالاعتقاد، كاعتقاد الشرك لله، أو أن الزنا والخمر والربا حلال، أو أن الخبز حرام، وأن الصلاة غير واجبة، ونحو ذلك مما أجمع على حله، أو حرمة أو وجوبه، إجماعاً قطعياً، ومثله لا يجهله.

4 - الردة بالشك في شيء مما سبق، كمن شك في تحريم الشرك، أو تحريم الزنا والخمر، أو في حل الخبز، أو شك في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم أو رسالة غيره من الأنبياء، أو في صدقه، أو في دين الإسلام، أو في صلاحيته لهذا الزمان.

5 - الردة بالترك، كمن ترك الصلاة متعمداً، لقول النبي صلى الله عليه وسلم " بين العبد وبين الكفر والشرك ترك الصلاة " [رواه مسلم. ] وغيره من الأدلة على كفر تارك الصلاة.

وأحكامها التي تترتب عليها بعد ثبوتها هي:

1 - استتابة المرتد، فإن تاب ورجع إلى الإسلام في خلال ثلاثة أيام؛ قبل منه ذلك و ترك.

2 - إذا أبى أن يتوب؛ و جب قتله؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: " من بدّل دينه فاقتلوه ". [رواه البخاري وأبو داود. ]

3 - يُمنع من التصرف في ماله في مدة استتابته، فإن أسلم فهو له؛ وإلا صار فيئاً لبيت المال، من حين قتله، أو موته على الردة. و قيل: من حين ارتداده يصرف في مصالح المسلمين.

4 - انقطاع التوارث بينه وبين أقاربه؛ فلا يرثهم ولا يرثونه.

5 - إذا مات أو قُتلَ على رَدته فَإِنَّهُ لَا يُغَسَّلُ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ وَلَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْكُفَّارِ، أَوْ يُوَارَى فِي التُّرَابِ فِي أَيِّ مَكَانٍ غَيْرِ مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ.

الباب الرابع

أقوال و أفعال تُنافي التوحيد أو تُنقصه

و فيه فصول:

الفصل الأول: ادعاء علم الغيب في قراءة الكف و الفنجان، و التنجيم... إلخ.

الفصل الثاني: السحر و الكهانة و العرافة.

الفصل الثالث: تقديم القرابين و النذور و الهدايا للمزارات و القبور و تعظيمها.

الفصل الرابع: تعظيم التماثيل و النصب التذكارية.

الفصل الخامس: الاستهزاء بالدين و الاستهانة بحرماته.

الفصل السادس: الحكم بغير ما أنزل الله.

الفصل السابع: ادعاء حق التشريع و التحليل و التحريم.

الفصل الثامن: الانتماء إلى المذاهب الإلحادية، و الأحزاب الجاهلية.

الفصل التاسع: النظرة المادية للحياة.

الفصل العاشر: التمايم و الرقى.

الفصل الحادي عشر: الحلف بغير الله، و التوسل و الاستعانة بالمخلوق دون الله.

## الفصل الأول

ادّعاء علم الغيب في قراءة الكف و الفنجان و غيرهما  
المراد بالغيب:

ما غاب عن الناس من الأمور المستقبلية و الماضية و ما لا يرونه، و قد اختصلى الله عليه وسلم الله تعالى بعلمه، و قال تعالى: {قل لا يعلم من في السماوات و الأرض الغيب إلا الله}. [النمل: 65.]

فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وحده، و قد يُطلع رسله على ما شاء من غيبه لحكمة و مصلحة، قال تعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا (26) إلا من ارتضى من رسول}. [الجن: 26، 27.]

أي: لا يطلع على شيء من الغيب إلا من اصطفاه لرسالته، فيظهره على ما يشاء من الغيب؛ لأنه يُستدل على نبوته بالمعجزات؛ التي منها الإخبار عن الغيب؛ الذي يطلعه الله عليه، و هذا يعم الرسول الملكي و البشري، و لا يطلع غيرهما لدليل الحصر. فمن ادّعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل غير من استثناه الله من رسله، فهو كاذب كافر؛ سواء ادّعى ذلك بواسطة قراءة الكف أو الفنجان، أو الكهانة أو السحر أو التنجيم، أو غير ذلك، و هذا الذي يحصل من بعض المشعوذين و الدجالين؛ من الإخبار عن مكان الأشياء المفقودة و الأشياء الغائبة، و عن أسباب بعض الأمراض، فيقولون: فلان عمَل لك كذا و كذا فمرضت بسببه، و إنما هذا لاستخدام الجن و الشياطين، و يظهرون للناس أن هذا يحصل لهم؛ عن طريق عمل هذه الأشياء من باب الخداع و التلبيس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية [انظر مجموعة التوحيد (797، 801).]: (و الكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشياطين، يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع، و كانوا يخلطون الصدق بالكذب) إلى أن قال: (و من هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة فواكه و حلوى، و غير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع، و منهم من يطير به الجني إلى مكة أو بيت المقدس أو غيرهما) انتهى.

و قد يكون إخبارهم عن ذلك عن طريق التنجيم، و هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، كأوقات هبوب الرياح و مجيء المطر، و تغير الأسعار، و غير ذلك من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بسير الكواكب في مجاريها، و اجتماعها و افتراقها. و يقولون: من تزوج بنجم كذا و كذا، حصل له كذا و كذا، و من سافر بنجم كذا حصل له كذا، و من وُلد بنجم كذا و كذا حصل له كذا؛ من السعد أو النحوس، كما يعلن في بعض المجلات

الساقطة من الخزعبلات حول البروج؛ و ما يجري فيها من  
الحظوظ.

و قد يذهب بعضُ الجهال و ضعاف الإيمان إلى هؤلاء المنجمين؛  
فيسألهم عن مستقبل حياتهم، و ما يجري عليه فيه، و عن زواجه و  
غير ذلك.

و من ادّعى علم الغيب أو صدّق من يدّعيه، فهو مشرّكٌ كافر؛ لأنّه  
يدّعي مشاركة الله فيما هو من خصائصه، و النجوم مسخّرة  
مخلوقة، ليس لها من الأمر شيء، و لا تدل على نحوس، و لا  
سعود، و لا موت، و لا حياة، و إنما هذا كله من أعمال الشياطين  
الذين يسترقون السمع.

## الفصل الثاني

### السحرُّ والكهانةُ و العرافة

كل هذه الأمور أعمال شيطانية مُحَرَّمَة تخل بالعقيدة أو تناقضها؛ لأنها لا تحصل إلا بأمور شركية.

أ - فالسحرُّ عبارةٌ عما خفي و لَطْفَ سَبَبُهُ:

سُمِّي سِحْرًا؛ لأنه يحصل بأمور خفية، لا تدرك بالأبصار، وهو: عزائم و رقي، و كلام يتكلم به، و أدوية و تدخينات، و له حقيقة. و منه ما يؤثر في القلوب و الأبدان فيُمرض و يَقْتُل و يفرق بين المرء و زوجته، و تأثيره بإذن الله الكوني القَدْرِيّ، و هو عمل شيطاني، و كثير منه لا يتوصل إليه إلا بالشرك و التقرب إلى الأرواح الخبيثة بما تحب، و التوصل إلى استخدامها بالإشتراك بها؛ و لهذا قرنه الشارع بالشرك، حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: " اجتنبوا السبع الموبقات " قالوا: و ما هي ؟ قال: " الإشراك بالله و السحر... " [رواه البخاري و مسلم]. الحديث. فهو داخل في الشرك من ناحيتين:

الناحية الأولى: ما فيه من استخدام الشياطين، و التعلق بهم و التقرب إليهم بما يحبونه؛ ليقوموا بخدمة الساحر، فالسحرُّ من تعليم الشياطين، قال تعالى: { و لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر } . [البقرة: 102].

الثانية: ما فيه من دعوى علم الغيب، و دعوى مشاركة الله في ذلك، و هذا كفر و ضلال، قال تعالى: { و لقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاقٍ } [البقرة: 102]. ، أي: تصيب.

و إذا كان كذلك فلا شك أنه كفر و شرك؛ يناقض العقيدة، و يجب قتل متعاطيه، كما قتله جماعة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم، و قد تساهل الناس في شأن الساحر و السحر، و ربما عدوا ذلك فتنًا من الفنون؛ التي يفتخرون بها، و يمنحون أصحابها الجوائز و التشجيع، و يُقيمون النوادي و الحفلات و المسابقات للسحرة، و يحضرها آلاف المتفرجين و المشجعين، أو يسمونه بالسرك، و هذا من الجهل بالدين و التهاون بشأن العقيدة، و تمكين للعابثين.

### 2 - الكهانة و العرافة:

و هما ادعاء علم الغيب، و معرفة الأمور الغائبة، كالأخبار بما سيقع في الأرض، و ما سيحصل، و أين مكان الشيء المفقود؛ و ذلك عن طريق استخدام الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء، كما قال تعالى: { هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (221) تنزل على كل أفاك أثيم (222) يلقون السمع و أكثرهم كاذبون (223) } . [الشعراء: 221: 223].

و ذلك أن الشيطان يسترق الكلمة من كلام الملائكة، فيلقها في أذن الكاهن، و يكذب الكاهن مع هذه الكلمة مائة كذبة، فيصدقها الناس بسبب تلك الكلمة، التي سمعت من السماء، و الله عز وجل هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركته في شيء من ذلك، بكهانة أو غيرها، أو صدق من يدعي ذلك؛ فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه. و الكهانة لا تخلو من الشرك؛ لأنها تَقَرَّبُ إلى الشياطين بما يحبون؛ فهي شرك في الربوبية من حيث ادعاء مشاركة الله في علمه، و شرك في الألوهية من حيث التقرب إلى غير الله بشيء من العبادة.

و عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " من أتى كاهناً فصدق به بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه و سلم ". [رواه أبو داود.]

و مما يجب التنبيه عليه و التنبيه له: أن السحرة و الكهان و العرافين، يعثون بعقائد الناس بحيث يظهرون بمظهر الأطباء، فيأمرون المرضى بالذبح لغير الله؛ بأن يذبحوا خروفاً صفته كذا و كذا، أو دجاجة، أو يكتبون لهم الطلاسم الشركية، و التعاويذ الشيطانية بصفة حروز يعلقونها في رقابهم، أو يضعونها في صناديقهم، أو في بيوتهم.

و البعض الآخر يظهر بمظهر المخبر عن المغيبات، و أماكن الأشياء المفقودة؛ بحيث يأتيه الجهال فيسالونه عن الأشياء الضائعة، فيخبرهم بها أو يحضرها لهم، بواسطة عملائه من الشياطين. و بعضهم يظهر بمظهر الولي الذي له خوارق و كرامات أو بمظهر الفنان، كدخول النار و لا تؤثر فيه، و ضرب نفسه بالسلاح، أو وضع نفسه تحت عجلات السيارة و لا تؤثر فيه، أو غير ذلك من الشعوذات التي في حقيقتها سحر من عمل الشيطان، يجري على أيدي هؤلاء للفتنة. أو هي أمور تخيلية لا حقيقة لها؛ بل هي حيل خفية يتعاطونها أمام الأنظار، كعمل سحرة فرعون بالحبال و العصي.

قال شيخ الإسلام في مناظرته للسحرة البطائحية الأحمدية الرفاعية (قال: (يعني شيخ البطائحية) و رفع صوته: نحن لنا أحوال و كذا و كذا، و ادّعى الأحوال الخارقة كالنار و غيرها و اختصاصهم بها، و أنهم يستحقون تسليم الحال إليها لأجلها). قال شيخ الإسلام: (فقلتُ و رفعتُ صوتي و غضبت: أنا أخاطب كل أحمدٍ من مشرق الأرض إلى مغربها: أي شيء فعلوه في النار؟ ! فإنا أصنع مثل ما تصنعون، و من احترق فهو مغلوب، و ربما قلت: فعليه لعنة الله، و لكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل و الماء الحار، فسألني الأمراء و الناس عن ذلك؛ فقلت: لأن لهم حيلاً في

الاتصال بالنار، يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع، و قشر النارج، و حجر الطلق، فضج الناس بذلك؛ فأخذ يظهر القدرة على ذلك، فقال: أنا و أنت تُلَفْتُ في بارية بعد أن تُطلى جسومنا بالكبريت. فقلت: فُقم، و أخذت أكرر عليه في القيام إلى ذلك، فمدَّ يده يظهر خلع القميص، فُقلتُ: لا، حتى تغتسل بالماء الحار والخل؛ فأظهر الوهم على عاداتهم فقال: من كان يحبُّ الأمير فيلحضر خشبًا - أو قال: حزمة حطب - فقلتُ: هذا تطويلٌ و تفريقٌ للجمع و لا يحصلُ به مقصود؛ بل قنديل يوقد و أدخل أصبعي و أصبعك فيه بعد الغسل، و من احترقت أصبعه فعليه لعنة الله، أو قلت: فهو مغلوب، فلمَّا قلتُ ذلك تغير وذل) انتهى. [مجموع الفتاوى (11/445 - 446).]

و المقصود منه بيان أن هؤلاء الدجالين يكذبون على الناس بمثل هذه الحيل الخفية، كجرهم السيارة بشعرة و إلقاءه نفسه تحت عجلاتها و إدخال أصياخ الحديد في عينه، إلى غير ذلك من الشعوذات الشيطانية.

## الفصل الثالث

تقديم القرابين و النذور و الهدايا للمزارات و القبور و تعظيمها  
لقد سد النبي صلى الله عليه و سلم كل الطرق المفضية إلى  
الشرك، و حذر منها غاية التحذير، و من ذلك: مسألة القبور، قد  
وضع الضوابط الواقية من عبادتها، و الغلو في أصحابها، و من  
ذلك:

1 - أنه قد حذر صلى الله عليه و سلم من الغلو في الأولياء و  
الصالحين؛ لأن ذلك يؤدّي إلي عبادتهم، فقال: " إياكم و العُلُوّ،  
فإنما أهلّك من كان قبلكم العُلُوّ " [رواه الإمام أحمد و الترمذي و  
ابن ماجه. ]، و قال: " لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم،  
إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبدُ الله و رسوله ". [رواه البخاري. ]  
2 - و حذر صلى الله عليه و سلم من البناء على القبور، كما روى  
أبو الهياج الأَسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه:  
(ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟  
أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، و لا قبراً مشرقاً إلا سويته ). [رواه  
مسلم. ]

3 - و نهى عن تجسيصها و البناء عليها، عن جابر رضي الله عنه  
قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن تجسيص القبر، و  
أن يقعد عليه، و أن يبني عليه بناء ). [رواه مسلم. ]

4 - و حذر صلى الله عليه و سلم من الصلاة عند القبور، عن عائشة  
رضي الله عنها قالت: (لما نُزِلَ برسول الله صلى الله عليه و سلم  
طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال و  
هو كذلك: " لعنةُ الله على اليهود و النصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم  
مساجد " يحذُر ما صنعوا، و لولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن  
يُنخَذَ مسجداً ). [متفق عليه. ]

و قال صلى الله عليه و سلم: " ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا  
يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجد؛ فإني  
أنهاكم عن ذلك ". [رواه مسلم في صحيحه. ]

و اتخذها مساجد معناه: الصلاة عندها و إن لم يكن مسجد عليها؛  
فكلُّ موضع قصد للصلاة فيه فقد اتُّخِذَ مسجداً، كما قال صلى الله  
عليه و سلم: " جعلت لي الأرض مسجداً و طهوراً " [رواه  
البخاري. ] فإذا بني عليها مسجد فالأمر أشد.

و قد خالف أكثر الناس هذه النواهي، و ارتكبوا ما حذر منه النبي  
صلى الله عليه و سلم، فوقعوا بسبب ذلك في الشرك الأكبر؛ فبنوا  
على القبور مساجد و أضرحة و مقامات، و جعلوها مزارات  
تمارس عندها كل أنواع الشرك الأكبر، من الذبح لها، و دعاء  
أصحابها، و الاستغاثة بهم، و صرف النذور لهم، و غير ذلك.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (و من جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور، و ما أمر به ونهى عنه، و ما كان عليه أصحابه، و بين ما عليه أكثر الناس اليوم [يعني في وقته - رحمه الله - و قد زاد الأمر على ما ذكر. ]، رأى أحدهما مضادًا للآخر مناقضًا له؛ بحيث لا يجتمعان أبدًا؛ فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة إلى القبور، و هؤلاء يبنون عليها المساجد، و يسمونها مشاهد؛ مضاهاة لبيوت الله، و نهى عن إيقاد السُّرُج عليها، و هؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها، و نهى عن أن تُتَّخَذَ عيدًا، و هؤلاء يتخذونها أعيادًا و مناسك، و يجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر.

و أمر بتسويتها، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها، و لا قبرًا إلا سوّيته). و في صحيحه أيضًا عن ثمامة بن شفيّ قال: (كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم، برودس فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها). [أي بعدم رفعها.]

و هؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، و يرفعونها عن الأرض كالبيت، و يعقدون عليها القباب).

إلى أن قال: (فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور، و بين ما شرعه هؤلاء و قصده؟ ! و لا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره).

ثم أخذ يذكر تلك المفاسد، إلى أن قال: (و منها: أن الذي شرعه النبي صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور إنما هو تذكّر الآخرة، و الإحسان إلى المزور بالدعاء له، و الترحم عليه و الاستغفار، و سؤال العافية له؛ فيكون الزائر محسنًا إلى نفسه و إلى الميت، فقلب هؤلاء المشركون الأمر، و عكسوا الدين، و جعلوا المقصود بالزيارة: الشرك بالميت، و دعاءه و الدعاء به، و سؤال حوائجهم، و استنزال البركات منه، و نصره لهم على الأعداء و نحو ذلك؛ فصاروا مسيئين إلى أنفسهم، و إلى الميت، و لو لم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعه تعالى من الدعاء له و الترحم عليه و الاستغفار له) انتهى. [إغاثة اللهفان (1 / 214، 215، 217).]

و بهذا يتضح أن تقديم النذور و القرابين للمزارات شرك أكبر؛ سببه مخالفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الحالة التي يجب أن تكون عليها القبور؛ من عدم البناء عليها و إقامة المساجد

عليها؛ لأنها لما بنيت عليها القباب، و أقيمت حولها المساجد و  
المزارات، ظن الجهال أن المدفونين فيها ينفعون أو يضرّون، و  
أنهم يُغيثون من استغاث بهم، و يقضون حوائج من التجأ إليهم،  
فقدموا لهم النذور و القرابين؛ حتى صارت أوثانًا تُعبَدُ من دون  
الله، و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم: " اللهم لا تجعل قبري  
وثناً يُعبَد " [رواه مالك و أحمد. ]، و ما دعا بهذا الدعاء إلا لأنه  
سيحصل شيء من ذلك، و قد حصل عند القبور في كثير من بلاد  
الإسلام، أما قبره فقد حماه الله ببركة دعائه صلى الله عليه و  
سلم، و إن كان قد يحصل في مسجده شيء من المخالفات، من  
بعض الجهال أو الخرافيين، لكنهم لا يقدرّون على الوصول إلى  
قبره؛ لأن قبره في بيته وليس في المسجد، و هو محوط  
بالجدران، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله في نونيته:  
فأجاب ربُّ العالمين دعاءه  
و أحاطه بثلاثة  
الجدران

## الفصل الرابع

في بيان حكم تعظيم التماثيل و النصب التذكارية  
التماثيل جمع تماثيل، و هو الصورة المجسمة على شكل إنسان أو  
حيوان، أو غيرهما مما فيه روح، و النصب في الأصل: العَلَمُ، و  
أحجار كان المشركون يذبحون عندها. و التُّصْبُ التذكارية: تماثيل  
يُقيمونها في الميادين و نحوها؛ لإحياء ذكرى زعيم أو مُعظم.  
و لقد حذر النبي صلى الله عليه و سلم من تصوير ذوات الأرواح، و  
لا سيما تصوير المعظمين من البشر كالعلماء و الملوك و العُبَّاد و  
القادة و الرؤساء، سواء كان هذا التصوير عن طريق رسم الصورة  
على لوحة أو ورقة، أو جدار أو ثوب، أو عن طريق الالتقاط بالآلة  
الضوئية المعروفة في هذا الزمان، أو عن طريق النحت، و بناء  
الصورة على هيئة التمثال، و نهى صلى الله عليه و سلم عن تعليق  
الصور على الجدران و نحوها، و عن نصب التماثيل، و منها: النصب  
التذكارية؛ لأن ذلك وسيلة إلى الشرك؛ فإن أول شرك حدث في  
الأرض كان بسبب التصوير و نصب الصور، و ذلك أنه كان في قوم  
نوح رجال صالحون، فلما ماتوا حزن عليهم قومهم، فأوحى إليهم  
الشیطان: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها  
أنصابًا، و سموها بأسمائهم، ففعلوا و لم تُعبد؛ حتى إذا هلك أولئك  
و نُسي العلم؛ عُبدت [رواه البخاري]. و لما بعث الله نبيه نُوحًا  
عليه السلام ينهى عن هذا الشرك الذي حصل بسبب تلك الصور  
التي نصبت، امتنع قومه من قبول دعوته، و أصروا على عبادة تلك  
الصور المنصوبة التي تحوّلت إلى أوثان: {و قالوا لا تدرن ءالهتمكم  
ولا تدرن ودًا و لا سواعًا و لا يغوث و يعوق و نسرا (23)}. [نوح:  
23.]

و هذه أسماء الرجال الذين صورت لهم تلك الصور على أشكالهم؛  
إحياء لذكرياتهم، و تعظيمًا لهم.

فانظر ما آل إليه الأمر بسبب هذه الأنصاب التذكارية من الشرك  
بالله، و معاندة رسله ؟ ! مما سبب إهلاكهم بالطوفان، و مقتهم  
عند الله و عند خلقه [و شرك قوم إبراهيم كان بعبادة التماثيل و  
العكوف عندها، و الشرك في بني إسرائيل كان بعبادتهم صورة  
العجل التي عملها لهم السامري من الذهب، و شرك النصارى كان  
بعبادتهم الصليب الذي يزعمون أنه على صورة المسيح عليه  
السلام.]

، مما يدل على خطورة التصوير و نصب الصور، و لهذا لعن النبي  
صلى الله عليه و سلم المصورين، و أخبر أنهم أشدُّ الناس عذابًا  
يوم القيامة، و أمر بطمس الصور، و أخبر أن الملائكة لا تدخل بيئًا  
فيه صورة، كل ذلك من أجل مفسدها، و شدة مخاطرها على

الأمة في عقيدتها، فإنَّ أولَّ شركٍ حدث في الأرض كان بسبب نصب الصُّور، و سواء كان هذا النصب للصور و التماثيل في المجالس، أو الميادين أو الحدائق؛ فإنه محرم شرعاً؛ لأنه وسيلة إلى الشرك، و فساد العقيدة. و إذا كان الكفار اليوم يعملون هذا العمل؛ لأنهم ليس لهم عقيدة يحافظون عليها؛ فإنه لا يجوز للمسلمين أن يتشبهوا بهم و يشاركوهم في هذا العمل؛ حفاظاً على عقيدتهم التي هي مصدر قوتهم و سعادتهم. و لا يقال: إن الناس تجاوزوا هذه المرحلة و عرفوا التوحيد و الشرك؛ لأن الشيطان ينظر للجيل المستقبل حينما يظهر فيهم الجهل، كما عمل مع قوم نوح لما مات علماءهم و فشا فيهم الجهل، و لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، كما قال إبراهيم عليه السلام: {و اجنبي و بني أن نعبد الأصنام (35)} فخاف على نفسه الفتنة، قال بعض السلف: (و من يأمن البلاء بعد إبراهيم؟).

## الفصل الخامس

في بيان حكم الاستهزاء بالدين و الاستهانة بحرماته  
الاستهزاء بالدين ردة عن الإسلام، و خروج عن الدين بالكلية، قال  
الله تعالى: {قل أبالله وءآياته ورسوله كنتم تستهزءون (65) لا  
تعذبوا قد كفرتم بعد إيمانكم} . [التوبة: 65، 66. ]  
هذه الآية: تدل على أن الاستهزاء بالله كفر، و أن الاستهزاء  
بالرسول كفر، و أن الاستهزاء بآيات الله كفر، فمن استهزأ بواحد  
من هذه الأمور فهو مستهزئ بجميعها. و الذي حصل من هؤلاء  
المنافقين: أنهم استهزءوا بالرسول و صحابته؛ فنزلت الآية.  
فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم، فالذين يستخفون بتوحيد الله  
تعالى، و يعظمون دعاء غيره من الأموات؛ و إذا أمروا بالتوحيد و  
نهوا عن الشرك استخفوا بذلك، كما قال تعالى: {و إذا رأوك إن  
يتخذونك إلا هزوا لهذا الذي بعث الله رسولا (41) إن كاد ليضلنا  
عن ءالهننا لولا أن صبرنا عليها} . [الفرقان: 41، 42. ]  
فاستهزءوا بالرسول صلى الله عليه وسلم لما نهاهم عن الشرك،  
و ما زال المشركون يعيبون الأنبياء و يصفهونهم بالسفاهة و  
الضلال و الجنون، إذا دعوهم إلى التوحيد؛ لما في أنفسهم من  
تعظيم الشرك. و هكذا تجد من فيه شبه منهم؛ إذا رأى من يدعو  
إلى التوحيد استهزأ بذلك؛ لما عنده من الشرك، قال الله تعالى:  
{و من الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله} .  
[البقرة: 165. ]

فمن أحب مخلوقا مثل ما يحب الله فهو مشرك. و يجب الفرق  
بين الحب في الله، و الحب مع الله، فهؤلاء الذين اتخذوا القبور  
أوثانا؛ تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله و عبادته، و  
يعظمون ما اتخذوه من دون الله شعفاء، و يحلف أحدهم بالله  
اليمين الغموس كاذبا، و لا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذبا، و كثير  
من طوائف متعددة ترى أحدهم يرى أن استغاثته بالشيخ - إما عند  
قبره أو غير قبره - أنفع له من أن يدعو الله في المسجد عن  
السحر ! و يستهزئ بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد، و كثير  
منهم يخربون المساجد، و يعمرن المشاهد، فهل هذا إلا من  
استخفافهم بالله و آياته و رسوله، و تعظيمهم للشرك [مجموع  
الفتاوى (15 / 48، 49) .] ؟ و هذا كثير وقوعه في القبوريين  
اليوم.

و الاستهزاء على نوعين:

أحدهما: الاستهزاء الصريح، كالذي نزلت الآية فيه، و هو قولهم: ما  
رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أ رغب بطوننا، و لا أكذب ألسنا، و لا أجبن  
عند اللقاء. أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين، كقول بعضهم:

دينكم هذا دينٌ خامس، و قول الآخر: دينكم أخرق، و قول الآخر إذا رأى الأمرين بالمعروف، و الناهين عن المنكر: جاءكم أهل المدين، من باب السخرية بهم، و ما أشبه ذلك مما لا يُحصى إلا بكلفة؛ مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية.

النوع الثاني: غير الصريح، و هو البحر الذي لا ساحل له، مثل: الرمز بالعين، و إخراج اللسان، و مد الشفة، و الغمز باليد عند تلاوة كتاب الله، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عند الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر [مجموعة التوحيد النجدية صفحة 409]. و مثل هذا ما يقوله بعضهم: إنَّ الإسلام لا يصلح للقرن العشرين؛ وإنما يصلح للقرون الوسطى، وأنه تأخر و رجعية، و أن فيه قسوة و وحشية؛ في عقوبات الحدود و التعازير، و أنه ظلم المرأة حقوقها؛ حيث أباح الطلاق، و تعدد الزوجات. و قولهم: الحكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام.

و يقولون في الذي يدعو إلى التوحيد، و يُنكر عبادة القبور و الأضرحة: هذا متطرف، أو يُريد أن يفرق جماعة المسلمين، أو: هذا وهَّابي، أو مذهب خامس، و ما أشبه هذه الأقوال التي كلها سب للدين و أهله، و استهزاء بالعقيدة الصحيحة، و لا حول و لا قوة إلا بالله. و من ذلك: استهزأؤهم بمن تمسكَّ بسنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم فيقولون: الدين ليس في الشعر؛ استهزأءً بإعفاء اللحية، و ما أشبه هذه الألفاظ الوقحة.

## الفصل السادس

### الحكم بغير ما أنزل الله

من مقتضى الإيمان بالله تعالى و عبادته: الخضوع لحكمه و الرضا بشرعه، و الرجوع إلى كتابه و سنة رسوله عند الاختلاف في الأقوال، و في العقائد و في الخصومات، و في الدماء و الأموال، و سائر الحقوق، فإنَّ الله هو الحكمُ و إليه الحُكْمُ، فيجبُ على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله، و يجب على الرعيَّة أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله في كتابه، و سنة رسوله، قال تعالى في حق الولاة: {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل}. [النساء: 58.]

و قال في حق الرعية: {يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلا (59)}. [النساء: 59.]

ثمَّ بين أنه لا يجتمع الإيمان مع التحاكم إلى غير ما أنزل الله، فقال تعالى: {ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت و قد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدًا (60)} [النساء: 60]. [، إلى قوله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت و يسلموا تسليمًا (65)}. [النساء: 65.]

فنفى سبحانه - نفيًا مؤكدًا بالقسم - الإيمانَ عن من لم يتحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم و يرضى بحكمه و يسلم له، كما أنه حكم بكفر الولاة الذين لا يحكمون بما أنزل الله، و يظلمهم و فسقهم، قال تعالى: {و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (44)} [المائدة: 44]. [، و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (45)} [المائدة: 45]. [، و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (47)}. [المائدة: 47.]

و لا بُدَّ من الحكم بما أنزل الله، و التحاكم إليه في جميع موارد النزاع في الأقوال الاجتهادية بين العلماء، فلا يقبل منها إلا ما دل عليه الكتاب و السنة؛ من غير تعصب لمذهب، و لا تحيز لإمام، و في المرافعات و الخصومات في سائر الحقوق؛ لا في الأحوال الشخصية فقط، كما في بعض الدول التي تنتسب إلى الإسلام، فإنَّ الإسلامَ كُلُّهُ لا يتجرأ، قال تعالى: {يا أيها الذين ءامنوا ادخلوا في السلم كافة}. [البقرة: 208.]

و قال تعالى: {أفتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض}. [البقرة: 85.]

و كذلك يجب على أتباع المذاهب و المناهج المعاصرة أن يردوا أقوال أئمتهم إلى الكتاب و السنة، فما وافقهما أخذوا به، و ما خالفهما ردوه دون تعصب أو تحيز؛ و لا سيما في أمور العقيدة، فإن الأئمة - رحمهم الله - يوصون بذلك، و هذا مذهبهم جميعًا، فمن خالف ذلك فليس متبعًا لهم، و إن انتسب إليهم، و هو ممن قال الله فيهم: {اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابًا من دون الله و المسيح ابن مريم}. [التوبة: 31].

فليست الآية خاصة بالنصارى، بل تتناول كل من فعل مثل فعلهم، فمن خالف ما أمر الله به و رسوله، صلى الله عليه وسلم بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله، أو طلب ذلك اتباعًا لما يهواه و يريده؛ فقد خلع ربة الإسلام و الإيمان من عنقه، و إن زعم أنه مؤمن، فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك، و أكذبهم في زعمهم الإيمان؛ فقال تعالى: {لم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت و قد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (60)} لما في ضمن قوله: (يزعمون) من نفي إيمانهم، فإن (يزعمون) إنما يقال غالبًا لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب، لمخالفته لموجبها، و عمله بما يناهها؛ يحقق هذا قوله: {وقد أمروا أن يكفروا به}؛ لأن الكفر الطاغوت ركن التوحيد، كما في آية البقرة [يعني قوله تعالى: {فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى} الآية (256) من سورة البقرة].، فإذا لم يحصل هذا الركن؛ لم يكن موحّدًا، و التوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال، و تفسد بعده، كما أن ذلك بين في قوله: {فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى} و ذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به. [فتح المجيد صلى الله عليه وسلم 467 - 468].

و نفي الإيمان عن من لم يحكم بما أنزل الله، يدل على أن تحكيم شرع الله إيمان و عقيدة، و عبادة لله يجب أن يدين بها المسلم، فلا يحكم شرع الله من أجل أن تحكيمه أصلح للناس و أضبط للأمن فقط، فإن بعض الناس يركز على هذا الجانب، و ينسى الجانب الأول، و الله سبحانه قد عاب على من يحكم شرع الله لأجل مصلحة نفسه، من دون تعبد لله تعالى بذلك فقال تعالى: {و إذا دعوا إلى الله و رسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون (48) و إن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين (49)}. [النور: 48، 49].

فهم لا يهتمون إلا بما يهوون، و ما خالف هواهم أعرضوا عنه؛ لأنهم لا يتعبدون لله بالتحاكم إلى رسوله صلى الله عليه وسلم.

حكم من حكم بغير ما أنزل الله: قال الله تعالى: {و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (44)}. [المائدة: 44].

في هذه الآية الكريمة: أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر، وهذا الكفر تارة يكون كفرًا أكبر ينقل عن الملة، وتارة يكون كفرًا أصغر لا يُخرج من الملة، وذلك بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان بحكم الله، واعتقد أن غيره من القوانين والنظم الوضعية أحسن منه أو مساويًا له، أو أنه لا يصلح لهذا الزمان، أو أراد بالحكم بغير ما أنزل الله استرضاء الكفار والمنافقين، فهذا كفر أكبر. وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، و علمه في هذه الواقعة و عدل عنه، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص، ويُسمّى كفرًا أصغر. وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده، واستفراغ وسعه في معرفة الحكم، وأخطأه، فهذا مُخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور [شرح الطحاوية صفحة 363 - 364]. و هذا في الحكم في القضية الخاصة.

و أما الحكم في القضايا العامة فإنه يختلف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية [مجموع الفتاوى (35 / 388)].: [فإنَّ الحاكم إذا كان دَيِّبًا؛ لَكِنَّهُ حكم بغير علم؛ كان من أهل النار، وإن كان عالمًا لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه؛ كان من أهل النار، وإذا حكم بلا عدل و لا علم أُولَى أن يكون من أهل النار. و هذا إذا حكم في قضية لشخص.

و أما إذا حكم حُكْمًا عامًّا في دين المسلمين؛ فجعل الحق باطلًا، و الباطل حقًا، و السنة بدعة، و البدعة سنة، و المعروف منكراً، و المنكر معروفًا، و نهى عما أمر الله به و رسوله، و أمر بما نهى الله عنه و رسوله، فهذا لون آخر يَحْكُم فيه رب العالمين، و إله المرسلين، مالك يوم الدين؛ الذي له الحمد في الأولى و الآخرة: {له الحكم و إليه ترجعون}. [القصص: 88].

{ هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و كفى بالله شهيدًا (28) }. [الفتح: 28].

و قال أيضًا: (لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلًا من غير اتباع لما أنزل الله؛ فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا و هي تأمر بالحكم بالعدل، و قد يكون العدل في دينها ما يراه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام؛ يحكمون بعباداتهم التي لم ينزلها الله، كسواليف البادية (أي عادات من سلفهم)، و كانوا الأمراء المطاعين، و يرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به

دون الكتاب و السنة، و هذا هو الكفر، فإن كثيرًا من الناس أسلموا؛ و لكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية؛ التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل، فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم [منهاج السنة النبوية.] كفار) انتهى.

و قال الشيخ محمد بن إبراهيم: (و أما الذي قيل فيه أنه كفر دون كفر، إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاص، و أن حكم الله هو الحق، فهذا الذي يصدر منه المرة و نحوها. أما الذي جعل قوانين يترتب و تخضع، فهو كفر، و إن قالوا: أخطأنا و حكم الشرع أعدل؛ فهذا كفر ناقل عن الملة.) [في تقرير الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. انظر: مجموع فتاواه (12 / 280).]

ففرق رحمه الله بين الحكم الجزئي الذي لا يتكرر، و بين الحكم العام الذي هو المرجع في جميع الأحكام، أو غالبها، و قرر أن هذا الكفر ناقل عن الملة مطلقًا؛ و ذلك لأن من نعى الشريعة الإسلامية، و جعل القانون الوضعي بدلًا منها؛ فهذا دليل على أنه يرى أن القانون أحسن و أصلح من الشريعة، و هذا لا شك أنه كفر أكبر يخرج من الملة و يناقض التوحيد.

## الفصل السابع

ادعاء حق التشريع و التحليل و التحريم

تشريع الأحكام التي يسير عليها العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر شئونهم، و التي تفصل النزاع بينهم و تُنهي الخصومات، حق لله تعالى رب الناس، و خالق الخلق: {ألا له الخلق و الأمر تبارك الله رب العالمين (54) }. [الأعراف: 54. ]

و هو الذي يعلم ما يصلح عباده، فيشرعه لهم، فبحكم ربوبيته لهم يشرع لهم، و بحكم عبوديتهم له يتقبلون أحكامه، و المصلحة في ذلك عائدة إليهم، قال تعالى: {فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلاً (59) }. [النساء: 59. ]

وقال تعالى: {و ما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي }. [الشورى: 10. ]

واستنكر سبحانه أن يتخذ العباد مُشْرِعًا غيره فقال: {أم لهم شركاؤا شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله }. [الشورى: 21. ]

فمن قبل تشريعًا غير تشريع الله؛ فقد أشرك بالله تعالى، و ما لم يشرعه الله و رسوله من العبادات؛ فهو بدعة، و كل بدعة ضلالة، قال صلى الله عليه وسلم: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " [الحديث رواه البخاري و مسلم. ]، وفي رواية: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " [رواه مسلم. ] و ما لم يشرعه الله و لا رسوله في السياسة و الحكم بين الناس، فهو حكم الطاغوت، و حكم الجاهلية: {أفحكم الجاهلية يبغون و من أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون (50) }. [المائدة: 50. ]

و كذلك التحليل و التحريم، حق لله تعالى، لا يجوز لأحد أن يُشاركه فيه، قال تعالى: {و لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه و إنه لفسق و إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم و إن أطعتموهم إنكم لمشركون (121) }. [الأنعام: 121. ]

فجعل سبحانه طاعة الشياطين و أوليائهم في تحليل ما حرم الله؛ شركًا به سبحانه، و كذلك من أطاع العلماء و الأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله؛ لقول الله تعالى: {اتخذوا أبحارهم و رهبانهم أربابًا من دون الله و المسيح ابن مريم و ما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (31) }. [التوبة: 31. ]

و في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي - رضي الله عنه - فقال: يا رسول الله، لسنا نعبدُهم، قال صلى الله عليه وسلم: " أليس يُحلون لكم ما حرم

الله فُتُحِلُونَهُ، و يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ؟ ! " قال: بلى، قال النبي صلى الله عليه وسلم " فتلك عبادتهم ". [رواه الترمذي و ابن جرير و غيرهما. ]

فصارت طاعتهم في التحليل و التحريم من دون الله عبادة لهم و شركاً، وهو شرك أكبر ينافي التوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله [فتح المجيد صلى الله عليه وسلم 107. ]، فإن من مدلولها: أن التحليل و التحريم حق لله تعالى، و إذا كان هذا فيمن أطاع العلماء و العباد في التحليل و التحريم الذي يخالف شرع الله و هو يعلم هذه المخالفة، مع أنهم أقرب إلى العلم و الدين، و قد يكونُ خطوهم عن اجتهاد لم يصبوا فيه الحق، و هم ماجورون عليه، فكيفَ بمن يُطيعُ أحكام القوانين الوضعية التي هي من صنع الكفار و الملحدين، يجلبها إلى بلاد المسلمين، و يحكم بها بينهم ؟ فلا حولَ و لا قوة إلا بالله.

إنَّ هذا قد اتخذ الكفار أرباباً من دون الله، يُشترِّعونَ له الأحكام، و يبيحونَ له الحرام، و يحكمون بين الأنام.

## الفصل الثامن

حكم الانتماء إلى المذاهب الإلحادية و الأحزاب الجاهلية

1 - الانتماء إلى المذاهب الإلحادية كالشيوعية، و العلمانية، و الرأسمالية، و غيرها من مذاهب الكفر، ردة عن دين الإسلام، فإن كان المنتمي إلى تلك المذاهب يدّعي الإسلام، فهذا من النفاق الأكبر، فإن المنافقين ينتمون إلى الإسلام في الظاهر، و هم مع الكفار في الباطن، كما قال تعالى فيهم: {و إذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنوا و إذا خلوا إلى شيطانهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون (14) }. [البقرة: 14].

و قال تعالى: {الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم و إن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم و نمنعكم من المؤمنين }. [النساء: 141].

فهؤلاء المنافقون المخادعون؛ لكل منهم وجهان: وجهٌ يلقى به المؤمن، ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين، و له لسانان: أحدهما يقبله بظاهره المسلمون، و الآخر يُترجم عن سيره المكنون: {و إذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنوا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم و إنما نحن مستهزءون (14) }.  
قد أعرضوا عن الكتاب و السنة؛ استهزاءً بأهلها و استحقارًا، و أبوا أن ينقادوا لحكم الوحيين، فرحًا بما عندهم من العلم الذي لا ينفع الاستكثار منه إلا اشترًا و استكبارًا، فتراهم أبدًا بالتمسكين بصريح الوحي يستهزئون: [صفات المنافقين (رسالة) صلى الله عليه وسلم 19 لابن القيم، و الآية (15) من سورة البقرة. ]

و قد أمر الله بالانتماء إلى المؤمنين: {يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين (119) }. [التوبة: 119].

و هذه المذاهب الإلحادية مذاهبٌ متناحرة؛ لأنها مؤسسة على الباطل، فالشيوعية تنكر وجود الخالق - سبحانه و تعالى - و تحارب الأديان السماوية، و من يرضى لعقله أن يعيش بلا عقيدة، و ينكر البدهيات العقلية اليقينية، فيكون مُلغيًا لعقله؟ و العلمانية تنكر الأديان، و تعتمد على المادية التي لا موجه لها، و لا غاية لها في هذه الحياة إلا الحياة البهيمية؟ و الرأسمالية همها جمع المال من أي وجه و لا تتقيد بحلال و لا حرام، و لا عطف و لا شفقة على الفقراء و المساكين، و قوام اقتصادها على الربا الذي هو محاربة لله و لرسوله؛ و الذي هو دمار الدول و الأفراد، و امتصاص دماء الشعوب الفقيرة، و أي عاقل - فضلًا عما فيه ذرة من إيمان - يرضى أن يعيش على هذه المذاهب، بلا عقل و لا دين، و لا غاية صحيحة من حياته يهدف إليها، و يُناضل من أجلها و إنما غزت هذه

المذاهبُ بلاد المسلمين؛ لما غاب عن أكثريتها الدين الصحيح، و ترتب على الضياع و عاشت على التبعية.

2 - و الانتماء للأحزاب الجاهلية، و القوميات العنصرية، هو الآخر كُفْرٌ ورْدَةٌ عن دين الإسلام؛ لأنَّ الإسلام يرفض العصبية، و النعرات الجاهلية، يقول تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبًا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم}. [الحجرات: 13].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: " ليس منا من دعا إلى عصبية، و ليس منها من قاتل على عصبية، و ليس منا من غضب لعصبية ". [رواه الترمذي و غيره. ]

و قال صلى الله عليه وسلم: " إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، و فخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس بنو آدم، و آدم خلق من تراب، و لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ". [رواه مسلم. ]

و هذه الحزبيات تفرق المسلمين، و الله قد أمر بالاجتماع و التعاون على البر و التقوى، و نهى عن التفرق و الاختلاف، و قال تعالى: {و اعتصموا بحبل الله جميعًا و لا تفرقوا و اذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا}. [آل عمران: 103].

إن الله سبحانه يريد منا أن نكون مع حزب واحد، هم حزب الله المفلحون؛ و لكن العالم الإسلامي أصبح بعد ما غزته أوروبا سياسيًا، و ثقافيًا، يخضع لهذه العصبية الدموية، و الجنسية و الوطنية، و يؤمن بها كقضية علمية و حقيقية مقررة، و واقع لا مفرَّ منه، و أصبحت شعوبه تندفع اندفاعًا غريبًا إلى إحياء هذه العصبية التي أماتها الإسلام، و التغني بها وإحياء شعائرها، و الافتخار بعهدتها الذي تقدم على الإسلام، و هو الذي يلج الإسلام على تسميته بالجاهلية، و قد من الله على المسلمين بالخروج عنها، و حثهم على شكر هذه النعمة.

و الطبيعي من المؤمن أن لا يذكر جاهلية تقادم عهدتها أو قارب؛ إلا بمقت و كراهية و امتعاض و اقشعرار، و هل يذكر السجين المعذب الذي يطلق سراحه أيام اعتقاله و تعذيبه و امتهانته؛ إلا وعرفته قشعريرة؟ و هل يذكر البريء من علة شديدة طويلة أشرف منها على الموت أيام سقمه، إلا و انكسف باله و انتقع لونه [من رسالة: (ردة و لا أبا بكر لها) لأبي الحسن الندوي. ]؟ و الواجب أن يعلم أن هذه الحزبيات عذاب؛ بعثه الله على من أعرض عن شرعه، و تنكر لدينه، كما قال تعالى: {قل هو القادر

على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا و يذيق بعضكم بأس بعض { . [الأنعام: 65. ]  
و قال صلى الله عليه وسلم: " و ما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم ". [من حديث رواه ابن ماجه. ]  
إنَّ التعصب للحزبيات، يسبب رفض الحق الذي مع الآخرين، كحال اليهود الذين قال الله فيهم: {و إذا قيل لهم ءامنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا و يكفرون بما وراءه و هو الحق مصدقًا لما معهم } . [البقرة: 91. ]  
و كحال أله الجاهلية، الذين رفضوا الحق الذي جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم تعصبًا لما عليه آباؤهم: {و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا } . [البقرة: 170. ]  
و يريد أصحاب هذه الحزبيات أن يجعلوها بديلة عن الإسلام الذي من الله به على البشرية.

## الفصل التاسع

النظرية المادية للحياة و مفاسد هذه النظرية  
هناك نظرتان للحياة، نظرة مادية للحياة، و نظرة صحيحة، و كل  
من النظرتين آثارها:

أ - فالنظرة المادية للحياة معناها:

أن يكون تفكير الإنسان مقصورًا على تحصيل ملذاته العاجلة، و  
يكون عمله محصورًا في نطاق ذلك، فلا يتجاوز تفكيره ما وراء  
ذلك من العواقب، و لا يعمل له، و لا يهتم بشأنه، و لا يعلم أن الله  
جعل هذه الحياة الدنيا مزرعة للآخرة، فجعل الدنيا دار عمل، و  
جعل الآخرة دار جزاء، فمن استغل دنياه بالعمل الصالح ربح  
الدارين، و من ضيع دنياه ضاعت آخرته: {خسر الدنيا والآخرة  
ذلك هو الخسران المبين (11) }. [الحج: 11].

فالله لم يخلق هذه الدنيا عبثًا بل خلقها لحكمة عظيمة، قال تعالى:  
{الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً}. [الملك:  
2].

و قال تعالى: {إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم  
أحسن عملاً (7) }. [الكهف: 7].

أوجد سبحانه في هذه الحياة من المتع العاجلة، و الزينة الظاهرة  
من الأموال و الأولاد، و الجاه و السلطان، و سائر المستلذات، ما لا  
يعلمه إلا الله.

فمن الناس - و هم الأكثر - من قصر نظره على ظاهرها و مفاتها،  
و متع نفسه بها، و لم يتأمل في سرها، فانشغل بتحصيلها و جمعها  
و التمتع بها عن العمل لما بعدها؛ بل ربما أنكر أن يكون هناك حياة  
غيرها، كما قال تعالى: {و قالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا و ما نحن  
بمبعوثين (29) }. [الأنعام: 29].

و قد توعد الله تعالى من هذه نظرتيه للحياة؛ فقال تعالى: {إن  
الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحياة الدنيا و اطمأنوا بها و الذين  
هم عن آياتنا غافلون (7) أولئك ماوأهم النار بما كانوا يكسبون )  
(8) }. [يونس: 7، 8].

و قال تعالى: {من كان يريد الحياة الدنيا و زينتها نوف إليهم  
أعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون (15) أولئك الذين ليس لهم  
في الآخرة إلا النار و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون  
{. [هود: 15، 16].

و هذا الوعيد يشمل أصحاب هذه النظرة؛ سواء كانوا من الذين  
يعملون عمل الآخرة؛ يريدون به الحياة الدنيا، كالمناققين و  
المرائيين بأعمالهم، أو كانوا من الكفار الذين لا يؤمنون ببعث و لا  
حساب، كحال أهل الجاهلية و المذاهب الهدامة من رأسمالية و

شيوعية، و علمانية إلحادية، و أولئك لم يعرفوا قدر الحياة، و لا تعدو نظرتهم لها أن تكون كنزرة البهائم، بل هم أضل سبيلاً؛ لأنهم ألغوا عقولهم، و سخروا طاقاتهم، و ضيعوا أوقاتهم فيما لا يبقى لهم، و لا يبقىون له، و لم يعملوا لمصيرهم الذي ينتظرهم و لابد لهم منه.

و البهائم ليس لها مصير ينتظرها، و ليس لها عقول تفكر بها، بخلاف أولئك، و لهذا يقول تعالى فيهم: {أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً (44) }. [الفرقان: 44.]

و قد وصف الله أهل هذه النظرة بعدم العلم، قال تعالى: {وعد الله لا يخلف الله وعده و لكن أكثر الناس لا يعلمون (6) يعلمون ظاهراً ممن الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون (7) }. [الروم: 6، 7.]

فهم و إن كانوا أهل خبرة في المخترعات و الصناعات؛ فهم جهال لا يستحقون أن يوصفوا بالعلم، لأن علمهم لم يتجاوز ظاهر الحياة الدنيا، و هذا علم ناقص لا يستحق أصحابه أن يطلق عليهم هذا الوصف الشريف، فيقال: العلماء، و إنما يطلق هذا على أهل معرفة الله و خشيته، كما قال تعالى: {إنما يخشى الله من عباده العلماء}. [فاطر: 28.]

و من النظرة المادية للحياة الدنيا: ما ذكره الله في قصة قارون، و ما أتاه الله من الكنوز: {فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم (79) }. [القصص: 79.]

فتمنوا مثله و غبطوه، و وصفوه بالحظ العظيم؛ بناء على نظرتهم المادية، و هذا كما هو الحال الآن في الدول الكافرة، و ما عندها من تقدم صناعي و اقتصادي، فإن ضعاف الإيمان من المسلمين ينظرون إليهم نظرة إعجاب دون نظر إلى ما هم عليه من الكفر، و ما ينتظرهم من سوء المصير، فتبعثهم هذه النظرة الخاطئة إلى تعظيم الكفار و احترامهم في نفوسهم، و التشبه بهم في أخلاقهم و عاداتهم السيئة، و لم يقلدوهم في الجد و إعداد القوة و الشيء النافع من المخترعات و الصناعات، كما قال تعالى: {و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة}. [الأنفال: 60.]

ب - النظرة الثانية للحياة: النظرة الصحيحة:  
و هي: أن يعتبر الإنسان ما في هذه الحياة من مال و سلطان و قوى مادية: وسيلة يستعان بها لعمل الآخرة.

فالدنيا في الحقيقة لا تدم لذاتها، وإنما يتوجه المدح والذم إلى فعل العبد فيها، فهي قنطرة و معبر للآخرة، و منها زادُ الجنة، و خير عيش يناله أهل الجنة إنما حصل لهم بما زرعه في الدنيا. فهي دار الجهاد، و الصلاة والصيام، و الإنفاق في سبيل الله، و مضمار التسابق إلى الخيرات.

يقول الله تعالى لأهل الجنة: {كلوا و اشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية (24)} [الحاقة: 24]. يعني: الدنيا.

## الفصل العاشر في الرقي و التمام أ - الرقى:

جمع رقية، وهي: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمي و الصرع، و غير ذلك من الآفات، و يسمونها العزائم، و هي على نوعين:

النوع الأول: ما كان خاليًا من الشرك، بأن يقرأ على المريض شيء من القرآن، أو يعوذ بأسماء الله و صفاته، فهذا مباح، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد رقى و أمر بالرقية و أجازها، فعن عوف ابن مالك قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: " اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا ". [رواه مسلم].

قال السيوطي: و قد أجمع العلماء علي جواز الرقى، عند اجتماع ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله، أو بأسماء الله و صفاته، و أن تكون باللسان العربي، و ما يعرف معناه، و أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى [فتح المجيد صلى الله عليه وسلم 135].، و كيفيتها: أن يقرأ و ينفث على المريض، أو يقرأ في ماء ويسقاه المريض، كما جاء في حديث ثابت بن قيس: (أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ ترابًا من بطحان، فجعله في قدح، ثم نفث عيله بماء و صبه عليه). [رواه أبو داود].

النوع الثاني: ما لم يخل من الشرك: و هي الرقى التي يستعان فيها بغير الله، من دعاء غير الله و الاستغاثة و الاستعاذة به، كالرقى بأسماء الجن، أو بأسماء الملائكة و الأنبياء و الصالحين، فهذا دعاء لغير الله، و هو شرك أكبر. أو يكون بغير اللسان العربي، أو بما لا يعرف معناه، لأنه يخشى أن يدخلها كفر أو شرك و لا يعلم عنه، فهذا النوع من الرقية ممنوع.

### 2 - التمام:

و هي جمع تميمة، و هي: ما يعلق بأعناق الصبيان؛ لدفع العين، و قد يعلق على الكبار من الرجال و النساء، و هو على نوعين:  
النوع الأول متن التمام:

ما كان من القرآن؛ بأن يكتب آيات من القرآن أو من أسماء الله و صفاته، و يعلقها للاستشفاء بها؛ فهذا النوع قد اختلف فيه العلماء في حكم تعليقه على قولين:

القول الأول: الجواز: و هو قول عبد الله بن عمرو بن العاص، و هو ظاهر ما روى عن عائشة، و به قال أبو جعفر الباقر، و أحمد بن حنبل في رواية عنه، و حملوا الحديث الوارد في المنع من تعليق التمام، على التمام التي فيها شرك.

القول الثاني: المنع من ذلك، وهو قول ابن مسعود و ابن عباس، وهو ظاهر قول حذيفة و عقبة بن عامر، و ابن عكيم، و به قال جماعة من التابعين، منهم: أصحاب ابن مسعود، و أحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه، و جزم بها المتأخرون، و احتجوا بما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الرقى و التائم و التولة شرك ". [رواه أحمد و أبو داود و ابن ماجه و الحاكم. ]

و التولة: شيء يصنعونه، يزعمون أنه يحب المرأة إلى زوجها، و الرجل إلى امرأته.

و هذا هو الصحيح؛ لوجوه ثلاثة:

الأول: عموم النهي و لا مخصص للعموم.

الثاني: سد الذريعة فإنها تفضي إلى تعليق ما ليس مباحًا.

الثالث: أنه إذا علق شيئًا من القرآن، فقد يمتنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة و الاستنجاء و نحو ذلك. [فتح المجيد صلى الله عليه وسلم 136. ]

النوع الثاني من التائم:

التي تعلق على الأشخاص ما كان من غير القرآن، كالخرز و العظام و الودع و الخيوط و النعال و المسامير، و أسماء الشياطين و الجن و الطلاسم، فهذا محرم قطعًا، و هو من الشرك؛ لأنه تعلق على غير الله سبحانه و أسمائه و صفاته و آياته، و في الحديث: " من تعلق شيئًا وكل إليه " [رواه أحمد و الترمذي. ] أي: وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه، فمن تعلق بالله، و التجأ إليه، و فوض أمره إليه؛ كفاه، و قرب إليه كل بعيد، و يسر له كل عسير. و من تعلق بغيره من المخلوقين و التائم و الأدوية و القبور؛ و كله الله إلى ذلك الذي لا يغني عنه شيئًا، و لا يملك له ضرًا و لا نفعًا، فخرس عقيدته و انقطعت صلته بربه و خذله الله.

و الواجب على المسلم: المحافظة على عقيدته مما يفسدها أو يخل بها، فلا يتعاطى ما لا يجوز من الأدوية، و لا يذهب إلى المخرفين و المشعوذين ليتعالج عندهم من الأمراض؛ لأنهم يمرضون قلبه و عقيدته، و من توكل على الله كفاه.

و بعض الناس يعلق هذه الأشياء على نفسه، و هو ليس فيه مرض حسي، و إنما فيه مرض وهمي، و هو الخوف من العين و الحسد، أو يعلقها على سيارته أو دابته أو باب بيته أو دكانه. وهذا كله من ضعف العقيدة، و ضعف توكله على الله، و إن ضعف العقيدة هو المرض الحقيقي الذي يجب علاجه بمعرفة التوحيد و العقيدة الصحيحة.

## الفصل الحادي عشر

في بيان حكم الحلف بغير الله و التوسل و الاستغاثة و الاستعانة  
بالمخلوق

أ - الحلف بغير الله:

الحلف: هو اليمين، و هي: توكيد الحكم بذكر معظم على وجه الخصوص. و التعظيم: حق لله تعالى، فلا يجوز الحلف بغيره، فقد أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله، أو بأسمائه و صفاته، و أجمعوا على المنع من الحلف بغيره [حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد صلى الله عليه وسلم 303]. [، و الحلف بغير الله شرك؛ لما روى ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك " [رواه أحمد و الترمذي و الحاكم]. و هو شرك أصغر، إلا إذا كان المحلوف به معظما عند الحالف إلى درجة عبادته له فهذا شرك أكبر، كما هو الحال اليوم عند عباد القبور، فإنهم يخافون من يعظمون من أصحاب القبور، أكثر من خوفهم من الله و تعظيمه، بحيث إذا طلب من أحدهم أن يحلف بالولي الذي يعظمه؛ لم يحلف به إلا إذا كان صادقًا، و إذا طلب منه أن يحلف بالله؛ حلف به و إن كان كاذبًا.

فالحلف تعظيم للمحلوف به لا يليق إلا بالله، و يجب توقير اليمين؛ فلا يكثر منها، قال تعالى: {و لا تطع كل حلاف مهين (10)}. [القلم: 10].

و قال تعالى: {و احفظوا أيمانكم}. [المائدة: 89]. [أي: لا تحلفوا إلا عند الحاجة، و في حالة الصدق و البر؛ لأن كثرة الحلف أو الكذب فيها يدلان على الاستخفاف بالله، و عدم التعظيم له، و هذا ينافي كمال التوحيد، و في الحديث أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثة لا يكلمهم الله و لا يزكيهم، و لهم عذاب أليم " و جاء فيه: " و رجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، و لا يبيع إلا بيمينه " [رواه الطبراني بسند صحيح]. [فقد شدد الوعيد على كثرة الحلف، مما يدل على تحريمه احترامًا لاسم الله تعالى، و تعظيمًا له سبحانه.

و كذلك يحرم الحلف بالله كاذبًا و هي: اليمين الغموس [هي التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار، و هي التي يحلفها على أمر ماض كاذبًا عالمًا]. [، و قد وصف الله المنافقين بأنهم يحلفون على الكذب و هم يعلمون.

فتلخص من ذلك:

1 - تحريم الحلف بغير الله تعالى، كالحلف بالأمانة أو الكعبة أو النبي صلى الله عليه وسلم و أن ذلك شرك.

2 - تحريم الحلف بالله كاذبًا متعمدًا، وهي الغموس.  
3 - تحريم كثرة الحلف بالله - و لو كان صادقًا - إذا لم تدعُ إليه حاجة؛ لأن هذا استخفاف بالله سبحانه.

4 - جواز الحلف بالله إذا كان صادقًا، و عند الحاجة.

ب - التوسل بالمخلوق إلى الله تعالى:

التوسل: هو التقرب إلى الشيء و التوصل إليه، و الوسيلة: القرية، قال الله تعالى: { و ابتغوا إليه الوسيلة } . [المائدة: 35].  
أي القرية إليه سبحانه بطاعته، و اتباع مرضاته.

و التوسل قسمان:

القسم الأول: توسل مشروع، و هو أنواع:

1 - النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه و صفاته، كما أمر الله تعالى بذلك في قوله: { و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها و ذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعلمون } . [الأعراف: 180].

2 - النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان و الأعمال الصالحة التي قام بها المتوسل، كما قال تعالى عن أهل الإيمان: { ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن ءامنوا بربكم فامنا ربنا فآغفر لنا ذنوبنا و كفر عنا سيئاتنا و توفنا مع الأبرار (193) } . [آل عمران: 193].

و كما في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فسدت عليهم باب الغار، فلم يستطيعوا الخروج، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم؛ ففرج الله عنهم [هذا مضمون الحديث و هو متفق عليه]. فخرجوا يمشون.

3 - النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بتوحيده؛ كما توسل يونس عليه السلام: { فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك } . [الأنبياء: 87].

4 - النوع الرابع: التوسل إلى الله تعالى بإظهار الضعف و الحاجة و الافتقار إلى الله، كما قال أيوب عليه السلام: { أني مسني الضر و أنت أرحم الراحمين (83) } . [الأنبياء: 83].

5 - النوع الخامس: التوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء، كما كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعوا الله لهم، و لما توفي صاروا يطلبون من عمه العباس - رضي الله عنه - فيدعوا لهم. [رواه البخاري].

6 - النوع السادس: التوسل إلى الله بالاعتراف بالذنب: { قال رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي } . [القصص: 16].

القسم الثاني: توسل غير مشروع:

و هو التوسل بما عدا الأنواع المذكورة في التوسل المشروع، كالتوسل بطلب الدعاء و الشفاعة من الأموات، و التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم، و التوسل بذات المخلوقين أو حقهم، و تفصيل ذلك كما يلي:

1 - طلب الدعاء من الأموات لا يجوز:

لأن الميت لا يقدر على الدعاء، كما كان يقدر عليه في الحياة، و طلب الشفاعة من الأموات لا يجوز؛ لأن عمر بن الخطاب و معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما -، و من بحضرتهما من الصحابة و التابعين لهم بإحسان، لما أجدبوا استسقوا و توسلوا و استشفعوا بمن كان حيًا، كالعباس و كيزيد بن الأسود، و لم يتوسلوا و لم يستشفعوا و لم يستسقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم لا عند قبره و لا عند غيره، بل عدلوا إلى البدل كالعباس و كيزيد، و قد قال عمر: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا فتنسقين، و إنا نتوسل بعم نبينا فاسقنا) فجعلوا هذا بدلًا من ذلك، لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه.

و قد كان ممن الممكن أن يأتوا إلى قبره فيتوسلوا به [مجموع الفتاوى (1 / 318 - 319)].، يعني: لو كان جائزًا. فتركهم لذلك دليل على عدم جواز التوسل بالأموات، لا لطلب الدعاء و الشفاعة منهم و هم أموات، فلو كان طلب الدعاء منه و الاستشفاع به حيًا و ميتًا سواء؛ لم يعدلوا عنه إلى غيره ممن هو دونه.

2 - و التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم أو بجاه غيره لا يجوز:

و الحديث الذي فيه: (إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم) حديث مكذوب، ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها، و لا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث [مجموع الفتاوى (10 / 319)].، و مادام لا يصح فيه دليل، فهو لا يجوز؛ لأن العبادات لا تثبت إلا بدليل صريح.

3 - و التوسل بذوات المخلوقين لا يجوز:

لأنه إن كانت الباء للقسم، فهو إقسام به على الله تعالى، و إذا كان الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز، و هو شرك كما في الحديث؛ فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق جل و علا؟! و إن كانت الباء للسببية فالله سبحانه لم يجعل السؤال بالمخلوق سببًا للإجابة، و لم يشرعه لعباده.

4 - و التوسل بحق المخلوق لا يجوز لأمرين:

الأول: أن الله سبحانه لا يجب عليه حق لأحد، و إنما هو الذي يتفضل سبحانه على المخلوق بذلك، كما قال تعالى: {و كان حقًا علينا نصر المؤمنين (47)}. [الروم: 47].

فكون المطيع يستحق الجزاء، هو استحقاق فضل و إنعام، و ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق.

الثاني: أن هذا الحق الذي تفضل الله به على عبده هو حق خاص به، لا علاقة لغيره به، فإذا توسل به غير مستحقه كان متوسلاً بأمر أجنبي، لا علاقة له به، وهذا لا يجديه شيئاً.

و أما الحديث الذي فيه: " أسألك بحق السائلين " فهو حديث لم يثبت؛ لأن في إسناده عطية العوفي، و هو ضعيف مجمع على ضعفه، كما قال بعض المحدثين، و ما كان كذلك، فإنه لا يحتج به في هذه المسألة المهمة من أمور العقيدة، ثم إنه ليس فيه توسل بحق شخص معين، و إنما فيه التوسل بحق السائلين عمومًا، و حق السائلين الإجابة كما و عدهم الله بذلك.

وهو حق أوجبه على نفسه لهم، لم يوجبه عليه أحد، فهو توسل إليه بوعده الصادق لا بحق المخلوق.

ج - حكم الاستعانة و الاستغاثة بالمخلوق:

الاستعانة: طلب العون و المؤازرة في الأمر.

و الاستغاثة: طلب الغوث، و هو إزالة الشدة.

فالاستغاثة و الاستعانة بالمخلوق على نوعين:

النوع الأول: الاستعانة و الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه، و هذا جائز، قال تعالى: { و تعاونوا على البر و التقوى }. [المائدة: 2. ]

و قال تعالى في قصة موسى عليه السلام:

{ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه }. [القصص: 15. ]

و كما يستغيث الرجل بأصحابه في الحرب و غيرها، مما يقدر عليه المخلوق.

النوع الثاني: الاستغاثة و الاستعانة بالمخلوق؛ فيما لا يقدر عليه إلا

الله، كالاستغاثة و الاستعانة بالأموات، و الاستغاثة بالأحياء، و

الاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله من شفاء المرضى، و

تفريج الكربات و دفع الضر، فهذا النوع غير جائز، و هو شرك أكبر،

و قد كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي

المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله

عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "

إنه لا يستغاث بي، و إنما يستغاث بالله " رواه الطبراني. ]، كره

صلى الله عليه وسلم أن يستعمل هذا اللفظ في حقه، و إن كان

مما يقدر عليه في حياته؛ حمايةً لجناب التوحيد و سدًا لذرائع

الشرك، و أدبًا و تواضعًا لربه، و تحذيرًا للأمة من وسائل الشرك

في الأقوال و الأفعال؛ فإذا كان هذا فيما يقدر عليه النبي صلى الله

عليه وسلم في حياته، فكيف يستغاث به بعد مماته، و يطلب منه

أمر لا يقدر عليها إلا الله [فتح المجيد صلى الله عليه وسلم 196 -  
197. ]، وإذا كان هذا لا يجوز في حقه صلى الله عليه وسلم  
فغيره من باب أولى.

الباب الخامس  
في بيان ما يجب اعتقاده في الرسول صلى الله عليه وسلم و أهل  
بيته و صحابته  
و ذلك في فصول:  
الفصل الأول: في وجوب محبة الرسول و تعظيمه، و النهي عن  
الغلو و الإطراء في مدحه، و بيان منزلته صلى الله عليه وسلم.  
الفصل الثاني: في وجوب طاعته و الاقتداء به.  
الفصل الثالث: في مشروعية الصلاة و السلام عليه.  
الفصل الرابع: في فضل أهل البيت، و ما يجب لهم من غير جفاء و  
لا غلو.  
الفصل الخامس: في فضل الصحابة و ما يجب اعتقاده فيهم، و  
مذهب أهل السنة و الجماعة فيما حدث بينهم.  
الفصل السادس: في النهي عن سب الصحابة و أئمة الهدى.

## الفصل الأول

في وجوب محبة الرسول و تعظيمه، و النهي عن الغلو و الإطراء في مدحه، و بيان منزلته صلى الله عليه وسلم.

1 - وجوب محبة الرسول و تعظيمه صلى الله عليه وسلم:  
يجب على العبد أولًا: محبة الله عز و جل، و هي من أعظم أنواع العبادة، قال تعالى: {و الذين ءامنوا أشد حبا لله}. [البقرة: 165].

لأنه هو الرب المتفضل على عباده بجميع النعم ظاهرها و باطنها، ثم بعد محبة الله تعالى، تجب محبة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه هو الذي دعا إلى الله، و عرف به، و بلغ شريعته، و بين أحكامه، فما حصل للمؤمنين من خير في الدنيا و الآخرة، فعلى يد هذا الرسول، و لا يدخل أحد الجنة إلا بطاعته و اتباعه صلى الله عليه وسلم، و في الحديث: " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما، و أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، و أن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار ". [متفق عليه].

فمحبة الرسول تابعة لمحبة الله تعالى، لازمة لها، وتليها في المرتبة، وقد جاء بخصوص محبته صلى الله عليه وسلم و وجوب تقديمها على محبة كل محبوب سوى الله تعالى، قوله صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده و الناس أجمعين ". [متفق عليه].

بل ورد أنه يجب على المؤمن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه، كما في الحديث: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: " و الذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك "، فقال له عمر: فإنك الآن أحب إلي من نفسي، فقال: " الآن يا عمر ". [رواه البخاري].

ففي هذا أن محبة الرسول واجبة و مقدمة على امحبة كل شيء سوى محبة الله، فإنها تابعة لها لازمة لها؛ لأنها محبة في الله و لأجله، تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن، و تنقص بنقصها، و كل من كان محبًا لله؛ فإنما يحب في الله و لأجله.

و محبته صلى الله عليه وسلم تقتضي تعظيمه و توقيره و اتباعه، و تقديم قوله على قول كل أحد من الخلق، و تعظيم سنته.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (و كل محبة و تعظيم للبشر، فإنما تجوز تبعًا لمحبة الله و تعظيمه، كمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم و تعظيمه، فإنها من تمام محبة مرسله و تعظيمه، فإن

أمته يحبونه لمحبة الله له، و يعظمونه و يجلون له لإجلال الله له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله.

و المقصود: أن النبي صلى الله عليه وسلم ألقى الله عليه من المهابة و المحبة... ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر، و لا أهيب و أجل في صدره، من رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدور أصحابه - رضي الله عنهم -، قال عمرو بن العاص بعد إسلامه: إنه لم يكن شخص أبغض إلي منه. فلما أسلمت، لم يكن شخص أحب إلي منه، و لا أجل في عيني منه، قال: و لو سئلت أن أصفه لكم لما أطلقت، لأنني لم أكن أملاً عيني منه، إجلالاً له.

و قال عروة بن مسعود لقريش: يا قوم، و الله لقد وفدت إلى كسرى و قيصر و الملوك، فما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه، ما يعظم أصحاب محمد محمداً صلى الله عليه وسلم، و الله ما يحدون النظر إليه تعظيماً له، و ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فيدلك بها وجهه و صدره، و إذا توضع كادوا يقتتلون على وضوءه) انتهى. [جلاء الأفهام صلى الله عليه وسلم 120 - 121]. [ 2 - النهي عن الغلو و الإطراء في مدحه:

الغلو: تجاوز الحد، يقال: غلا غلوا، إذا تجاوز الحد في القدر، قال تعالى: { لا تغلوا في دينكم } [النساء: 171]. أي: لا تجاوزوا الحد. و الإطراء: مجاوزة الحد في المدح، و الكذب فيه، و المراد بالغلو في حق النبي صلى الله عليه وسلم: مجاوزة الحد في قدره؛ بأن يرفع فوق مرتبة العبودية و الرسالة، و يجعل له شيء من خصائص الإلهية، بأن يدعى ويستغاث به من دون الله، و يحلف به.

و المراد بالإطراء في حقه صلى الله عليه وسلم: أن يزداد في مدحه، فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله: " لا تروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله و رسوله " [متفق عليه]. [، أي: لا تمدحوني بالباطل، و لا تجاوزوا الحد في مدحي، كما غلت النصارى في عيسى - عليه السلام - فادعوا فيه الألوهية، و صفوني بما و صفوني به ربي، فقولوا: عبد الله و رسوله. و لما قال له بعض أصحابه: أنت سيدنا، فقال: " السيد الله تبارك و تعالى "، و لما قالوا: أفضلنا و أعظمنا طولاً، فقال: " قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، و لا يستجرينكم الشيطان ". [رواه أبو داود بسند جيد. ]

و قال له ناس: يا رسول الله، يا خيرنا و ابن خيرنا، و سيدنا و ابن سيدنا، فقال: " يا أيها الناس، قولوا بقولكم، و لا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله و رسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز و جل ". [رواه أحمد و النسائي. ]

كره صلى الله عليه وسلم أن يمدحوه بهذه الألفاظ: أنت سيدنا - أنت خيرنا - أنت أفضلنا - أنت أعظمنا، مع أنه أفضل الخلق و أشرفهم على الإطلاق، لكنه نهاهم عن ذلك، ابتعادًا بهم عن الغلو و الإطراء في حقه، و حماية للتوحيد، و أرشدهم أن يصفوه بصفتين، هما أعلى مراتب العبد، وليس فيهما غلو ولا خطر علي العقيدة، وهما: عبد الله و رسوله، ولم يحب أن يرفعوه فوق ما أنزله الله عز وجل من المنزلة التي رضىها له، و قد خالف نبيه صلى الله عليه وسلم كثير من الناس فصاروا يدعونه، و يستغيثون به، و يحلفون به، و يطلبون منه ما لا يطلب إلا من الله، مكا يفعل في الموالد و القصائد و الأناشيد، و لا يميزون بين حق الله و حق الرسول.

يقول العلامة ابن القيم في النونية:

لله حق لا يكون لغيره

و لعبده حق هما حقان

لا تجعلوا الحقين حقا واحداً

من غير تمييز و لا فرقان

3 - بيان منزلته صلى الله عليه وسلم:

لا بأس ببيان منزلته بمدحه صلى الله عليه وسلم بما مدحه الله به، و ذكر منزلته التي فضله الله بها و اعتقاد ذلك، فله صلى الله عليه وسلم المنزلة العالية التي أنزله الله فيها، فهو عبد الله و رسوله، و خيرته من خلقه، و أفضل الخلق على الإطلاق، و هو رسول الله إلى الناس كافة، و إلى جميع الثقيلين الجن و الإنس، وهو أفضل الرسل، و خاتم النبيين، لا نبي بعده، قد شرح الله له صدره، و رفع له ذكره، و جعل الذلة و الصغار على من خالف أمره، و هو صاحب المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: { عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا (79) }. [الإسراء: 79].

أي: المقام الذي يقيمه الله فيه للشفاعة للناس يوم القيامة؛ ليريحهم ربهم من شدة الموقف، و هو مقام خاص به صلى الله عليه وسلم دون غيره من النبيين.

و هو أخشى الخلق لله، و أتقاهم له، و قد نهى الله عن رفع الصوت بحضرته صلى الله عليه وسلم، و أثنى علي الذين يعضون أصواتهم عنده، فقال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم و أنتم لا تشعرون (2) } إن الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة و أجر عظيم (3) إن الذين يناودنك من وراء الحجرات أكثرهم لا

يعقلون (4) و لو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرًا لهم و الله غفور رحيم (5) . { [الحجرات: 3 - 5. ]

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (هذه آيات أدب الله فيها عباده المؤمنين فيما يعاملون به النبي صلى الله عليه وسلم من التوقير و الاحترام، والتبجيل و الإعظام... أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فوق صوته).

و نهى سبحانه و تعالى أن يدعى الرسول باسمه كما يدعى سائر الناس، فيقال: يا محمد، و إنما يدعى بالرسالة و النبوة فيقال: يا رسول الله، يا نبي الله، قال تعالى: { لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا } . [النور: 63. ]

كما أن الله سبحانه يناديه بـ يا أيها النبي، يا أيها الرسول. و قد صلى الله وملائكته عليه، و أمر عباده بالصلاة و التسليم عليه، فقال تعالى: { إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (56) } . [الأحزاب: 56. ]

لكن لا يخصص لمدحه صلى الله عليه وسلم وقت و لا كيفية معينة إلا بدليل صحيح من الكتاب و السنة، فما يفعله أصحاب الموالد من تخصيص اليوم الذي يزعمون أنه يوم مولده لمدحه: بدعة منكورة. و من تعظيمه صلى الله عليه وسلم: تعظيم سنته، و اعتقاد وجوب العمل بها، و أنها في المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم في وجوب التعظيم و العمل، لأنها وحي من الله تعالى، كما قال تعالى: { و ما ينطق عن الهوى (3) إن هو إلا وحي يوحى (4) } . [النجم: 3، 4. ]

فلا يجوز التشكيك فيها، و التقليل من شأنها، أو الكلام فيها بتصحيح أو تضعيف لطرقها و أسانيدها أو شرح لمعانيها إلا بعلم و تحفظ، و قد كثر في هذا الزمان تطاول الجهال على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم خصوصًا من بعض الشباب الناشئين، الذين لا يزالون في المراحل الأولى من التعليم، صاروا يصححون و يضعفون في الأحاديث، و يجرحون في الرواة بغير علم سوى قراءة الكتب، و هذا خطر عظيم عليهم و على الأمة، فيجب عليهم أن يتقوا الله، و يقفوا عند حدهم.

## الفصل الثاني

في وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم و الاقتداء به  
تجب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم بفعل ما أمر به، وترك ما  
نهى عنه، وهذا من مقتضى شهادة أنه رسول الله، وقد أمر الله  
تعالى بطاعته في آيات كثيرة، تارة مقرونة مع طاعة الله، كما في  
قوله: {يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول} [النساء: 59].  
و أمثالها من الآيات، وتارة يأمر بها منفردة، كما  
في قوله: {من يطع الرسول فقد أطاع الله} [النساء: 80].، {و  
أطيعوا الرسول لعلكم ترحمون} (56). [النور: 56].  
وتارة يتوعد من عصى رسوله صلى الله عليه وسلم، كما في قوله  
تعالى: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو  
يصيبهم عذاب أليم} (63). [النور: 63].  
أي: تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، أو عذاب  
أليم في الدنيا، بقتل أو حد أو حبس، أو غير ذلك من العقوبات  
العاجلة.

و قد جعل الله طاعته و اتباعه سببًا لنيل محبة الله للعبد و مغفرة  
ذنوبه، قال تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و  
يغفر لكم ذنوبكم}. [آل عمران: 31].  
و جعل طاعته هداية، و معصيته ضلالًا، قال تعالى: {وإن تطيعوه  
تهتدوا}. [النور: 54].

و قال تعالى: {فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم و  
من أضل ممن اتبع هواه بغي هدى من الله إن الله لا يهدي القوم  
الظالمين} (50). [القصص: 50].

و أخبر سبحانه و تعالى أن فيه القدوة الحسنة لأمته، فقال تعالى:  
{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله و  
اليوم الآخر و ذكر الله كثيرًا} (21). [الأحزاب: 21].  
قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -: (هذه الآية الكريمة أصل كبير  
في التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله و أفعاله  
و أحواله، و لهذا أمر تبارك و تعالى الناس بالتأسى بالنبي صلى  
الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره و مصابرتة، و مرابطته و  
مجاهدته، و انتظاره الفرج من ربه - عز و جل - صلوات الله و  
سلامه عليه دائمًا، إلى يوم الدين).

و قد ذكر الله طاعة الرسول و اتباعه في نحو أربعين موضعًا من  
القرآن، فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به و اتباعه منها إلى  
الطعام و الشراب، فإن الطعام و الشراب إذا فات الحصول  
عليهما؛ حصل الموت في الدنيا، و طاعة الرسول و اتباعه إذا فاتا؛  
حصل العذاب و الشقاء الدائم، وقد أمر صلى الله عليه وسلم

بالاقتداء به في أداء العبادات، و أن تؤدي على الكيفية التي كان يؤديها بها، فقال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} [الأحزاب: 21. ]، و قال النبي صلى الله عليه وسلم: " صلوا كما رأيتموني أصلي " [الحديث رواه البخاري. ]، وقال: " خذوا عني مناسككم " [الحديث رواه مسلم. ]، و قال: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " [الحديث متفق عليه ]، و قال: " من رغب عن سنتي فليس مني " [متفق عليه.] إلى غير ذلك من النصوص، التي فيها الأمر بالاقتداء به، و النهي عن مخالفته.

## الفصل الثالث

في مشروعية الصلاة والسلام على الرسول ص من حقه الذي شرع الله له على أمته أن يصلوا ويسلموا عليه، فقد قال الله تعالى: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (56)}. [الأحزاب: 56]. [وقد ورد أن معنى صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، و صلاة الملائكة: الدعاء، و صلاة آدميين: الاستغفار] ذكره البخاري عن أبي العالية. [، و قد أخبر الله سبحانه في هذه الآية عن منزلة عبده و نبيه عنده في الملائكة؛ بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، و أن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة و التسليم عليه؛ ليجمع الثناء عليه من أهل العالم العلوي و السفلي.

و معنى: {و سلموا تسليماً} أي: حيوه بتحية الإسلام، فإذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة و التسليم؛ فلا يقتصر على أحدهما، فلا يقول: (صلى الله عليه) فقط، و لا يقول: (عليه السلام) فقط؛ لأن الله تعالى أمر بهما جميعاً.

و تشرع الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في مواطن يتأكد طلبها فيها، إما وجوباً و إما استحباباً مؤكداً، و ذكر ابن القيم - رحمه الله - في كتابه: (جلاء الأفهام) واحداً و أربعين موطناً، بدأها بقوله: (الموطن الأول: - و هو أهمها و أكدها - في الصلاة في آخر التشهد، و قد أجمع المسلمون على مشروعيتها، و اختلفوا في وجوبه فيها) [جلاء الأفهام صلى الله عليه وسلم 222، 223]. ثم ذكر من المواطن: آخر القنوت، و في الخطب كخطبة الجمعة، و العيدين و الاستسقاء، و بعد إجابة المؤذن، و عند الدعاء، و عند دخول المسجد و الخروج منه، و عند ذكره صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر - رحمه الله - الثمرات الحاصلة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر فيها أربعين فائدة [جلاء الأفهام 302]. [، ومنها: امتثال أمر الله سبحانه بذلك.

و منها: حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.

و منها: رجاء إجابة الدعاء إذا قدمها أمامه.

و منها: أنها سبب لشفاعته صلى الله عليه وسلم إذا قرنها بسؤال الوسيلة له صلى الله عليه وسلم.

و منها: أنها سبب لغفران الذنوب.

و منها: أنها سبب لرد النبي صلى الله عليه وسلم على المصلي و المسلم عليه.

فصلوات الله وسلامه على هذا النبي الكريم.

## الفصل الرابع

في فضل أهل البيت و ما يجب لهم من غير جفاء و لا غلو  
أهل البيت هم آل النبي صلى الله عليه وسلم الذين حرمت عليهم  
الصدقة، و هم آل علي، و آل جعفر، و آل عقیل، و آل العباس، و  
بنو الحارث بن عبد المطلب، و أزواج النبي صلى الله عليه وسلم و  
بناته؛ لقوله تعالى: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل  
البيت و يطهركم تطهيرًا (33)}. [الأحزاب: 33]. [

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (ثم الذي لا يشك فيه من تدبر  
القرآن، أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في قوله  
تعالى: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم  
تطهيرًا (33)}. [الأحزاب: 33]. [

فإن سياق الكلام معهن، و لهذا قال بعد هذا كله: {و اذكرن ما  
يتلى في بيوتكن من آيات الله و الحكمة}. [الأحزاب: 34]. [  
أي: و اعملن بما ينزل الله تبارك و تعالى على رسوله صلى الله  
عليه وسلم في بيوتكن، من الكتاب و السنة. قاله قتادة و غير  
واحد.

و اذكرن هذه النعمة التي حُصِّصَتْ بها من بين الناس: أن الوحي  
نزل في بيوتكن دون سائر الناس، و عائشة الصديقة بنت الصديق  
- رضي الله عنها - أولاهن بهذه النعمة، و أخصهن من هذه الرحمة  
العميمة، فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الوحي في فراش امرأة سواها، كما نص على ذلك صلوات الله و  
سلامه عليه، و قال بعض العلماء: لأنه لم يتزوج بكراً سواها، و لم  
ينم معها رجل في فراشها سواه (يريد أنها لم تتزوج غيره) فناسب  
أن تخصص بهذه المزية، و أن تفرد بهذه المرتبة العلية، و لكن إذا  
كان أزواجه من أهل بيته، فقرابته أحق بهذه التسمية) انتهى من  
تفسير ابن كثير.

فأهل السنة و الجماعة يحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم و يتولونهم، و يحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله  
عليه وسلم، حيث قال يوم غدیر خم (اسم موضع): " أذكركم الله  
في أهل بيتي ". [رواه مسلم]

فأهل السنة يحبونهم و يكرمونهم؛ لأن ذلك من محبة النبي صلى  
الله عليه وسلم و إكرامه، و ذلك بشرط: أن يكونوا متبعين للسنة  
مستقيمين على الملة، كما كان عليه سلفهم كالعباس و بنوه، و  
علي الملة، كما كان عليه سلفهم كالعباس و بنوه، و علي و بنوه،  
أما من خالف السنة، و لم يستقم على الدين، فإنه لا تجوز موالاته  
و لو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة و الجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال و الإنصاف، يتولون أهل الدين و الاستقامة منهم، و يتبرءون ممن خالف السنة و انحرف عن الدين، و لو كان من أهل البيت، فإن كونه من أهل البيت و من قرابة الرسول، لا ينفعه شيئاً حتى يستقيم على دين الله، فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: {وأنذر عشيرتك الأقربين (214)}. [الشعراء: 214].

فقال: " يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أغني عنك من الله شيئاً، و يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً ". [رواه البخاري].

و الحديث: " من بطأ عمله لم يسرع به نسبه ". [رواه مسلم].  
و يتبرأ أهل السنة و الجماعة من طريقة الروافض؛ الذين يغفلون في بعض أهل البيت، و يدعون لهم العصمة، و من طريقة النواصب؛ الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، و يطعنون فيهم، و من طريقة المبتدعة و الخرافيين الذين يتوسلون بأهل البيت، و يتخذونهم أرباباً من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب و غيره على المنهج المعتدل، و الصراط المستقيم الذي لا إفراط فيه و لا تفريط، و لا جفاء و لا غلو في حق أهل البيت و غيرهم، و أهل البيت المستقيمون ينكرون الغلو فيهم، و يتبرأون من الغلاة، فقد حرق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الغلاة الذين غلوا فيه بالنار، و أقره ابن عباس - رضي الله عنه - على قتلهم، لكن يرى قتلهم بالسيف بدلاً من التحريق، و طلب علي - رضي الله عنهما - عبد الله بن سبأ رأس الغلاة ليقتله؛ لكنه هرب و اختفى.

## الفصل الخامس

في فضل الصحابة و ما يجب اعتقاده فيهم  
و مذهب أهل السنة و الجماعة فيما حدث بينهم  
ما المراد بالصحابة، و ما الذي يجب اعتقاده فيهم:  
الصحابة جمع صحابي: و هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم  
مؤمناً به و مات على ذلك، و الذي يجب اعتقاده فيهم أنهم أفضل  
الأمّة، و خير القرون؛ لسبقهم و اختصاصهم بصحبة النبي صلى الله  
عليه وسلم و الجهاد معه، و تحمل الشريعة عنه، و تبليغها لمن  
بعدهم، و قد أثنى الله عليهم في محكم كتابه، قال تعالى: {و  
السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم  
بإحسان رضي الله عنهم و رضوا عنه و أعد لهم جنات تجري تحتها  
الأنهار خالدون فيها أبداً ذلك الفوز العظيم (100)}. [التوبة:  
100.]

و قال تعالى: {محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار  
رحما بينهم تراهم ركعاً سجّاً يبتغون فضلاً من الله و رضواناً  
سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة و  
مثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى  
على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين ءامنوا  
و عملوا الصالحات منهم مغفرة و أجراً عظيماً (29)}. [الفتح:  
29.]

و قال تعالى: {للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم و  
أموالهم يبتغون فضلاً من الله و رضواناً و ينصرون الله و رسوله  
أولئك هم الصادقون (8) و الذين تبوءوا الدار و الإيمان من قبلهم  
يحبون من هاجر إليهم و لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا و  
يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة و من يوق شح نفسه  
فأولئك هم المفلحون (9)}. [الحشر: 8، 9.]

ففي هذه الآيات أن الله سبحانه أثنى على المهاجرين و الأنصار،  
و وصفهم بالسبق إلى الخيرات، و أخبر أنه قد رضي الله عنهم، و  
أعد لهم الجنات، و وصفهم بكثرة الركوع و السجود، و صلاح  
القلوب، و أنهم يعرفون بسيا الطاعة و الإيمان، و أن الله  
اختارهم لصحبة نبيه ليغيظ بهم أعداءه الكفار، كما وصف  
المهاجرين بترك أوطانهم و أموالهم من أجل الله و نصرته دينه، و  
ابتغاء فضله و رضوانه، و أنهم صادقون في ذلك، و وصف الأنصار  
بأنهم أهل دار الهجرة و النصر، و الإيمان الصادق، و وصفهم  
بمحبة إخوانهم المهاجرين، و إثارةهم على أنفسهم، و مواساتهم  
لهم، و سلامتهم من الشح، و بذلك حازوا على الفلاح. هذه بعض  
فضائلهم العامة، و هناك خاصة و مراتب يفضل بها بعضهم بعضاً،

رضي الله عنهم، و ذلك بحسب سبقهم إلى الإسلام و الجهاد و الهجرة.

فأفضل الصحابة الخلفاء الأربعة: أبو بكر و عمر و عثمان و علي، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، و هم هؤلاء الأربعة و طلحة، و الزبير، و عبد الرحمن بن عوف، و أبو عبيدة بن الجراح، و سعد بن أبي وقاص، و سعيد بن زيد، و يفضل المهاجرون على الأنصار، و أهل بدر و أهل بيعة الرضوان، و يفضل من أسلم قبل الفتح و قاتل، على من أسلم بعد الفتح.

2 - مذهب أهل السنة و الجماعة فيما حدث بين الصحابة من القتال و الفتنة:

سبب الفتنة: تأمر اليهود على الإسلام و أهله، فدسوا ماكرًا خبيثًا تظاهر بالإسلام كذبًا و زورًا هو: عبد الله بن سبأ، من يهود اليمن، فأخذ هذا اليهودي ينفث حقه و سمومه ضد الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين: عثمان بن عفان - رضي الله عنه و أرضاه - و يختلق التهم ضده، فالتف حوله من انخدع به من قاصري النظر و ضعاف الإيمان و محبي الفتنة، و انتهت المؤامرة بقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه مظلومًا، و على أثره مقتل الخليفة الاختلاف بين المسلمين، و شبت الفتنة بتحريض من هذا اليهودي و أتباعه، و حصل القتال بين الصحابة عن اجتهاد منهم.

قال شارح الطحاوية: (إن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق، قصده إبطال دين الإسلام، و القدح في الرسول صلي الله عليه وسلم كما ذكر ذلك العلماء، فإن عبد الله بن سبأ، لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره و خبثه - كما فعل بولس بدين النصرانية - فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان و قتله، ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلو في علي، و النصر له، ليتمكن بذلك من أغراضه، و بلغ ذلك عليًا فطلب قتله؛ فهرب منه إلى قرقيس، و خبره معروف في التاريخ).

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فلما قتل عثمان رضي الله عنه، تفرقت القلوب و عظمت الكروب، و ظهرت الأشرار و ذل الأخيار، و سعى في الفتنة من كان عاجزًا عنه، و عجز عن الخير و الصلاح من كان يحب إقامته، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ، و أفضل من بقي، لكن كانت القلوب متفرقة، و نار الفتنة متوقدة، فلم تتفق الكلمة، و لم تنتظم الجماعة، و لم يتمكن الخليفة و خيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير، و دخل في الفرقة و الفتنة أقوام، و كان ما كان). [مجموع الفتاوى (25 / 304 - 305).]

و قال أيضًا مبيّنًا عذر المتقاتلين من الصحابة؛ في قتال علي و معاوية: (و معاوية لم يدع الخلافة، و لم يبايع له بها حين قاتل عليًا، و لم يقاتل علي أنه خليفة، و لا أنه يستحق الخلافة، و كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه، و لا كان معاوية و أصحابه يرون أن يتدثروا عليًا و أصحابه بالقتال؛ بل لما رأى علي - رضي الله عنه - و أصحابه أنه يجب عليهم طاعته و مبايعته، إذ لا يكون للمسلمين إلا خليفة واحد، و أنهم خارجون عن طاعته؛ يمتنعون هذا الواجب، و هم أهل شوكة، رأى أن يُقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب، فتحصل الطاعة و الجماعة. و هم (أي معاوية و من معه) قالوا: إن ذلك لا يجب عليهم، و أنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان قُتِلَ مَظْلُومًا باتفاق المسلمين، و قتلته في عسكر علي، و هم غالبون لهم شوكة، فإذا امتنعنا ظلمونا و اعتدوا علينا، و علي لا يمكنه دفعهم كما لم يمكنه الدفع عن عثمان، و إنما علينا أن نبايع خليفة يقدر على أن يُنصفنا و يبذل لنا الإنصاف.

و مذهب أهل السنة و الجماعة في الاختلاف الذي حصل، و الفتنة التي وقعت من جرائها الحروب بين الصحابة، يتلخص في أمرين: الأمر الأول: أنهم يمسكون عن الكلام فيما حصل بين الصحابة، و يكفون عن البحث فيه؛ لأن طريق السلامة هو السكون عن مثل هذا، و يقولون: {ربنا افقر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم (10) } . [الحشر: 10.]

الأمر الثاني: الإجابة عن الآثار المروية في مساوئهم، و ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن هذه الآثار منها ما هو كذب؛ قد افتراه أعداؤهم ليشوهوا سمعتهم.

الوجه الثاني: أن هذه الآثار منها ما قد زيد و نقص فيه و عُيِّرَ عن وجهه الصحيح، و دخله الكذب، فهو محرف لا يلتفت إليه.

الوجه الثالث: أن ما صح من هذه الآثار - و هو القليل - هم فيه معذورون؛ لأنهم إما مجتهدون مصيبون، و إما مجتهدون مخطئون، فهو من موارد الاجتهاد الذي إن أصاب المجتهد فيه فله أجران، و إن أخطأ فله أجر واحد، و الخطأ مغفور؛ لما في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، و إن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد ". [في الصحيحين من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما.]

الوجه الرابع: أنهم بشر يجوز علي أفرادهم الخطأ، فهم ليسوا معصومين من الذنوب بالنسبة للأفراد؛ لكن ما يقع منهم فله مكفرات عديدة منها:

1 - أن يكون قد تاب منه، و التوبة تمحو السيئة مهما كانت، كما جاءت به الأدلة.

2 - أن لهم من السوابق و الفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم، إن صدر، قال تعالى: {إن الحسنات يذهبن السيئات}. [هود: 114].

و لهم من الصُّحبة و الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يغمر الخطأ الجزئي.

3 - أنهم تُضاعفُ لهم الحسنات أكثر من غيرهم، و لا يساويهم أحد في الفضل، و قد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون، و أن المُدَّ من أحدهم إذا تصدق به؛ أفضل من جبل أحد ذهبًا إذا تصدق به غيرهم [في الحديث متفق عليه]. - رضي الله عنهم - و أرضاهم).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (و سائر أهل السنة و الجماعة و أئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة، و لا القراة و لا السابقين و لا غيرهم، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم، و الله تعالى يغفر لهم بالتوبة، و يرفع لها درجاتهم، و يغفر لهم بحسنات ماحية، أو بغير ذلك من الأسباب، قال تعالى: {و الذي جاء بالصدق و صدق به أولئك هم المتقون (33) لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين (34) ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا و يجزيهم أجرهم باحسن الذي كانوا يعملون (35)}. [الزمر: 32 - 35].

و قال تعالى: {حتى إذا بلغ أشده و بلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي و على والدي و أن أعمل صالحًا ترضاه و أصلح لي في ذريتي إني تبت إليك و إني ممن المسلمين (15) أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا و نتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة} [الأحقاف: 15، 16]. انتهى.)  
[انظر: مجموع الفتاوى (35 / 69).]

و قد اتخذ أعداء الله ما وقع بين الصحابة وقت الفتنة من الاختلاف و الاقتتال سببًا للوقية بهم، و النيل من كرامتهم و قد جرى على هذا المخطط الخبيث بعض الكتاب المعاصرين؛ الذين يهرفون بما لا يعرفون، فجعلوا أنفسهم حكمًا بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يصوّبون بعضهم، و يخطئون بعضهم، بلا دليل، بل بالجهل و اتباع الهوى، و ترديد ما يقوله المغرضون و الحاقدون من المستشرقين و أذناهم؛ حتى شككوا بعض ناشئة المسلمين - ممن ثقافتهم صَحلة - بتاريخ أمتهم المجيد، و سلفهم الصالح المذنبين هم خير القرون؛ لينفذوا بالتالي إلى طعن في الإسلام، و تفريق كلمة المسلمين، و إلقاء البُغض في قلوب آخر هذه الأمة لأولها،

بدلاً من الاقتداء بالسلف الصالح، و العمل بقوله تعالى: {و الذين  
جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا  
بالإيمان و لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوف رحيم  
(10) }. [الحشر: 10 .]

## الفصل السادس

في النهي عن سب الصحابة و أئمة الهدى

1 - النهي عن سب الصحابة:

من أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم و أسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما وصفهم الله بذلك في قوله تعالى: {و الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان و لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوف رحيم (10) }. [الحشر: 10]. [ و طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: " لا تُسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدًّا أحدهم و لا نصيفه ". ] [الحديث متفق عليه. ] و يتبرءون من طريقة الرافضة و الخوارج الذين يسبون الصحابة - رضي الله عنهم - و يبغضونهم، و يجحدون فضائلهم، و يكفرون أكثرهم.

و أهل السنة يقبلون ما جاء في الكتاب و السنة من فضائلهم، و يعتقدون أنهم خير القرون، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " خيركم قرني... " الحديث. [الحديث في الصحيحين. ] و لما ذكر صلى الله عليه وسلم افتراق الأمة إلى ثلاث و سبعين فرقة، و أنها في النار إلا واحدة، و سأله عن تلك الواحدة، قال " هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم و أصحابي ". [رواه الإمام أحمد و غيره. ]

قال أبو زرعة - و هو أجل شيوخ الإمام مسلم -: إذا رأيت الرجل ينتقص امرئًا من الصحابة؛ فاعلم أنه زنديق، و ذلك أن القرآن حق، و الرسول حق، و ما جاء به حق، و ما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة؛ فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب و السُّنة؛ فيكون الجرح به أليق، و الحكم عليه بالزندقة و الضلال أقوم و أحق. قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين: من سبَّ أحدًا من الصحابة مُستحلًّا؛ كفر، و إن لم يستحل فسق، و عنه: يكفر مطلقًا، و من فسَّقهم، أو طعن في دينهم، أو كَفَّرهم؛ كفر. [شرح عقيد السفاريني (2 / 388 - 389). ]

2 - النهي عن سب أئمة الهدى من علماء هذه الأمة:

يلي الصحابة في الفضيلة و الكرامة و المنزلة: أئمة الهدى من التابعين و أتباعهم من القرون المفضلة، و من جاء من بعدهم ممن تبع الصحابة بإحسان، كما قال تعالى: {و السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم و رضوا عنه} [التوبة: 100]. [الآية.

فلا يجوزُ تنقصهم و سبهم؛ لأنهم أعلام هدى، فقد قال تعالى: {و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرًا (115) } . [النساء: 115.]

قال شارح الطحاوية: (فيجبُ على كل مسلم بعدُ مِوالة الله و رسوله: مِوالة المؤمنين، كما أطلق القرآنُ، خصوصًا الذين هُمُ ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يُهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، و قد أجمعَ المسلمون على هدايتهم و درايتهم. فإنهم خُلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته، و المحيون لما مات من سنته، فبهم قام الكتاب و به قاموا، و بهم نطق الكتاب و به نطقوا، و كلهم متفقون اتفاقًا يقينًا على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، و لكن: إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلا بد له في تركه من عذر).

و جماع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله.

الثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

الثالث: اعتقاده أن الحكم منسوخ.

فلهم الفضل علينا و المنة؛ بالسبق و تبليغ ما أرسل به الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فرضي الله عنهم و أرضاهم {و الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوف رحيم (10) } . [الحشر: 10.]

و الحط من قدر العلماء؛ بسبب وقوع الخطأ الاجتهادي من بعضهم، هو من طريقة المبتدعة، و من مخططات أعداء الأمة؛ للتشكيك في دين الإسلام، و لإيقاع العداوة بين المسلمين، و لأجل فصل خلف الأمة عن سلفها، و بث الفرقة بين الشباب و العلماء، كما هو الواقع الآن، فليتنبه لذلك بعض الطلبة المبتدئين؛ الذين يحطون من قدر الفقهاء؛ و من قدر الفقه الإسلامي، و يزهدون في دراسته، و الانتفاع بما فيه من حق و صواب، فليعتزوا بفقهم، و ليحترموا علماءهم؛ و لا ينخدعوا بالدعايات المضللة و المغرصة. و الله موفق.

## الباب السادس

### البدع

و يتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول: تعريف البدعة - أنواعها - أحكامها.

الفصل الثاني: ظهور البدع في حياة المسلمين، و الأسباب التي أدت إليها.

الفصل الثالث: موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة، و منهج أهل السنة و الجماعة في الرد عليهم.

الفصل الرابع: في الكلام على نماذج من البدع المعاصرة و هي:

- 1 - الاحتفال بالمولد النبوي.
- 2 - التبرك بالأماكن و الآثار و الأموات، و نحو ذلك.
- 3 - البدع في مجال العبادات و التقرب إلى الله.

## الفصل الأول

تعريف البدعة، أنواعها و أحكامها

1 - تعريفها: البدعة في اللغة:

مأخوذة من البدع، وهو الاختراع على غير مثال سابق، و منه قوله تعالى: {بديع السماوات و الأرض} . [البقرة: 117]. [ أي مخترعها على غير مثال سابق، قوله تعالى: {قل ما كنت بدعًا من الرسل} . [الأحقاف: 9]. [ أي: ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير من الرسل.

و يقال: ابتدع فلان بدعة، يعني: ابتدأ طريقة لم يسبق إليها. و الابتداع على قسمين:

ابتداع في العادات كابتداع المخترعات الحديثة، و هذا مباح؛ لأن الأصل في العادات: الإباحة.

و ابتداع في الدين، و هذا مُحَرَّم؛ لأن الأصل فيه التوقيف، قال صلى الله عليه وسلم: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " [رواه البخاري و مسلم]. [ وفي رواية: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد". [ في صحيح مسلم. ]

2 - أنواع البدع:

البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية، كمقالات الجهمية و المعتزلة و الرافضة، و سائر الفرق الضالة، و اعتقادهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات، كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، و هي أقسام:

القسم الأول: ما يكون في أصل العبادة: بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كأن يحدث صلاة غير مشروعة أو صيامًا غير مشروع أصلًا، أو أعيادًا غير مشروعة كأعياد الموالد و غيرها.

القسم الثاني: ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

القسم الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة؛ بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، و ذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مُطربة، و كالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

القسم الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة؛ لم يخصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان و ليلته بصيام قيام، فإن أصل الصيام و القيام مشروع، و لكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

3 - حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها:

كل بدعة في الدين فهي محرمة و ضلال، لقوله صلى الله عليه وسلم: " و إياكم و محدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة " [رواه الترمذي و قال: حديث حسن صحيح. ]، و قوله صلى الله عليه وسلم: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " [متفق عليه. ]، وفي رواية: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ". [رواه مسلم.] فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، و كل بدعة ضلالة مردودة، و معنى ذلك أن البدع في العبادات و الاعتقادات محرمة، و لكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة، فمنها ما هو كفر صراح، كالطواف بالقبور تقريباً إلى أصحابها، و تقديم الذبائح و النذور لها، و دعاء أصحابها، و الاستغاثة بهم، و كأقوال غلاة الجهمية و المعتزلة. و منها ما هو من وسائل الشرك، كالبناء على القبور و الصلاة و الدعاء عندها، و منها ما هو فسق اعتقادي كبدعة الخوارج و القدرية و المرجئة في أقوالهم و اعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية، و منها ما هو معصية كبدعة التبتل و الصيام قائماً في الشمس، و الخصاء بقصد قطع شهوة الجماع. [انظر: الاعتصام للشاطبي (2 / 37). ]

تنبيه:

من قَسَمَ البدعة إلى بدعة حسنة، و بدعة سيئة؛ فهو مخطئ و مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم: " فإن كل بدعة ضلالة " لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، و هذا يقول: ليس كل بدعة ضلالة؛ بل هناك بدعة حسنة. قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين: (فقوله صلى الله عليه وسلم: " كل بدعة ضلالة " من جوامع الكلم؛ لا يخرج عنه شيء، و هو أصل عظيم من أصول الدين، و هو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم: " من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد " فكل من أحدث شيئاً و نسبته إلى الدين، و لم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، و الدين بريء منه، و سواء في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة و الباطنة) [جامع العلوم و الحكم صلى الله عليه وسلم 233]. انتهى.

و ليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة، إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: (نعمت البدعة هذه).

و قالوا أيضاً: أنها أحدثت أشياء لم يستنكرها السلف، مثل جمع القرآن في كتاب واحد، و كتابة الحديث و تدوينه.

و الجواب عن ذلك أن هذه الأمور لها أصل في الشرع، فليست مُحدثة، و قول عمر: (نعمت البدعة) يريدُ البدعة اللغوية لا الشرعية، فما كان له أصل في الشرع يُرجعُ إليه، إذا قيل: إنه بدعة، فهو بدعة لغة لا شرعاً؛ لأن البدعة شرعاً: ما ليس له أصل

في الشرع. و جمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابة القرآن، لكن كان مكتوبًا متفرقًا، فجمعة الصحابة رضي الله عنهم في مصحف واحد حفظًا له.

و التراويح قد صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه ليالي، و تخلفَ عنهم في الأخير خشية أن تفرض عليهم، و استمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعًا متفرقين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم و بعد وفاته، إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إمام واحد كما كانوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم، و ليس هذا بدعة في الدين.

و كتابة الحديث أيضًا لها أصل في الشرع، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه؛ لما طلب منه ذلك، و كان أبو هريرة رضي الله عنه يكتب الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، و كان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده: خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلما تُوفي صلى الله عليه وسلم انتفى هذا المحذور؛ لأن القرآن قد تكامل، و ضبط قبل وفاته صلى الله عليه وسلم، فدوّن المسلمون الحديث بعد ذلك حفظًا له من الضياع، فجزأهم الله عن الإسلام و المسلمين خيرًا؛ حيث حفظوا كتاب ربهم و سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم من الضياع و عبث العابثين.

#### الفصل الثاني

ظهور البدع في حياة المسلمين و الأسباب التي أدت إليها

1 - ظهور البدع في حياة المسلمين، وتحت مسألتان:  
المسألة الأولى: وقت ظهور البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [مجموع الفتاوى (10) / 354]. [و اعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعموم و العبادات إنما وقع في الأمة في أواخر عهد الخلفاء الراشدين، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: " من يعيش منكم، فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين " [رواه أبو داود و الترمذي و قال: حديث حسن صحيح.] و أول بدعة ظهرت: بدعةُ القدر، و بدعة الإرجاء، و بدعة التشيع و الخوارج، و لما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية، ثم في أواخر عصر الصحابة، حدثت القدرية في آخر عصر ابن عمر و ابن عباس و جابر و أمثالهم من الصحابة - رضي الله عنهم - و حدثت المرجئة قريبًا من ذلك، و أما الجهمية فإنما حدثوا في أواخر عصر التابعين بعد موت عمر بن عبد العزيز، و قد روي أنه أنذر بهم، و كان ظهور جهم بخراسان في خلافة هشام بن عبد الملك.

هذه البدع ظهرت في القرن الثاني، و الصحابة موجودون، و قد أنكروا على أهلها، ثم ظهرت بدعة الاعتزال، و حدثت الفتن بين المسلمين، و ظهر اختلاف الآراء و الميل إلى البدع و الأهواء، و ظهرت بدعة التصوف، و بدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة، و هكذا كلما تأخر الوقت زادت البدع و تنوعت.  
المسألة الثانية: مكان ظهر البدع:

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و خرج منها العلم و الإيمان خمسة: الحرمان، و العراقان، و الشام، منها خرج القرآن و الحديث، و الفقه و العبادة، و ما يتبع ذلك من أمور الإسلام، و خرج من هذه الأمصار بدع أصولية، غير المدينة المنورة، فالكوفة خرج منها التشيع و الإرجاء، و انتشر بعد ذلك في غيرها، و البصر خرج منها القدر و الاعتزال و النسك الفاسد، و انتشر بعد ذلك في غيرها، و الشام كان بها النصب و القدر، و أما التجهم فإنما ظهر في ناحية خراسان، و هو شر البدع.

و كان ظهور ابدع بحسب البعد عن المدار النبوية، فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية، و أما المدينة النبوية، فكانت سليمة من ظهور هذه البدع، وإن كان بها من هو مضمحل لذلك، فكان عندهم مهائلاً مذموماً، إذ كان بها قوم من القدرية و غيرهم، و لكن كانوا مقهورين ذليلين، بخلاف التشيع و الإرجاء في الكوفة، و الاعتزال و بدع النساك بالبصرة، و النصب بالشام، فإنه كان ظاهرًا، و قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المدجال لا يدخلها، و لم يزل العلم و الإيمان ظاهرًا إلى زمن أصحاب مالك، و هم من أهل القرن الرابع).  
[مجموع الفتاوى (20 / 300 - 303).]

فأما العصور الثلاثة المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة البتة، و لا خرج منها بدعة في أصول الدين البتة، كما خرج من سائر الأمصار.

2 - الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع:

مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال، قال تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}. [الأنعام: 153].

و قد وضح ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: حَطَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً فقال: " هذا سبيل الله " ثم خط خطوطاً عن يمينه، وعن

شماله ثم قال: " وهذه سبل، على كل سبيل منها الشيطان يدعو إليه " ثم تلا: {وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}. [رواه أحمد و ابن حبان والحاكم وغيرهم. ]

فمن أعرض عن الكتاب والسنة؛ تنازعت الطرق المضللة، و البدع المحدثه.

فالأسباب التي أدت إلى ظهور البدع تتلخص في الأمور التالية: الجهل بأحكام الدين، اتباع الهوى، التعصب للآراء و الأشخاص، التشبه بالكفار و تقليدهم، و تناول هذه الأسباب بشيء من التفصيل:

أ - الجهل بأحكام الدين:

كلما امتد الزمن، وبعد الناس عن آثار الرسالة؛ قل العلم وفشا الجهل، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً " [من حديث رواه أبو داود و الترمذي و قال: حديث حسن صحيح. ]، وقوله: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق علماً اتخذ الناس رءوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا ". [جامع بيان العلم و فضله لابن عبد البر (1 / 180). ]

فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء، فإذا فقد العلم و العلماء أتاحت الفرصة للبدع أن تظهر و تنتشر، و لأهلها أن ينشطوا.

ب - اتباع الهوى:

من أعرض عن الكتاب و السنة اتبع هواه، كما قال تعالى: { فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم و من أضل ممن اتبع هواه بغير هدي من الله }. [القصص: 50. ]

وقال تعالى: {أفرءيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله }. [الجاثية: 23. ]

و البدع إنما هي نسيخُ الهوى المتَّبَع.

ج - التعصب للآراء و الرجال:

التعصب للآراء و الرجال يحول بين المرء واتباع الدليل، و معرفة الحق، قال تعالى: {وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا }. [البقرة: 170. ]

و هذا هو الشأن في المتعصبين اليوم، من بعض أتباع المذاهب الصوفية و القبوريين، إذا دعوا إلى اتباع الكتاب و السنة، و نبذ ما هم عليه مما يخالفهما؛ احتجوا بمذاهبهم، و مشائخهم و آبائهم و أجدادهم.

د - التشبه بالكفار:

وهو من أشد ما يوقع في البدع، كما في حديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، و نحن حدثاء عهد بكفر، و للمشركين سدرة يعكفون عندها و ينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الله أكبر، إنها السنن ! قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {اجعل لنا إلهًا كما لهم إلهة قال إنكم قوم تجهلون (138)} [الأعراف: 138]. [تركبن سنن من قبلكم". [رواه الترمذي و صححه. ]

ففي هذا الحديث: أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل أن يطلبوا هذا الطلب القبيح، و هو أن يجعل لهم إلهة يعبدونها، و هو الذي حمل بعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يسألوه أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها من دون الله، و هذا نفس الواقع اليوم، فإن غالب الناس من المسلمين، قلدوا الكفار في عمل البدع و الشركيات، كأعياد الموالد، و إقامة الأيام و الأسابيع لأعمال مخصصة، و الاحتفال بالمناسبات الدينية و المذكرات، و إقامة التماثيل، و النصب التذكارية، و إقامة المآتم، و بدع الجنائز، و البناء على القبور، و غير ذلك.

### الفصل الثالث

موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة، و منهج أهل السنة و الجماعة في الرد عليهم

1 - موقف أهل السنة و الجماعة من المبتدعة:  
ما زال أهل السنة و الجماعة يردون على المبتدعة، و ينكرون عليهم بدعهم، و يمنعونهم من مزاولتها، و إليك نماذج من ذلك:  
( أ ) عن أم الدرداء قالت: (دخل علي أبو الدرداء مغضبًا، فقلت له: ما لك؟ فقال: و الله ما أعرف فيهم شيئًا من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعًا). [رواه البخاري.]

( ب ) عن عمر بن يحيى قال: (سمعتُ أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج عليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ فقلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد أنفًا أمرًا أنكرته، و لم أر - و الحمد لله - إلا خيرًا، قال: و ما هو؟ قال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا حلقة جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، و في أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللو مائة، فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ فقال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك، أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، و ضمننت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟

ثم مضى و مضينا معه؛ حتى أتى حلقة من تلك الحلقة، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعد به التكبير و التهليل و التسبيح و التحميد، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، و يحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، و هذه ثيابه لم تبل، و أنتيه لم تُكسر، و الذي نفسي بيده: إنكم لعلى ملة هي أهدي من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: و الله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير، قال: و كم مريد للخير لمن يصيبه! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، و ايم الله لا أدري لعل أكثرهم منكم. ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوراج). [رواه الدارمي.]

( ج ) جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - فقال: من أين أحرم؟ فقال: من الميقات الذي وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم و أحرم منه، فقال الرجل: فإن أحرمت من أبعد منه،

فقال مالك: لا أرى ذلك، فقال: ما تكره من ذلك، قال: أكره عليك الفتنة، قال: و أي فتنة في ازدياد الخير؟ فقال مالك: فإن الله تعالى يقول: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (63)}. [النور: 63].

و أي فتنة أعظم من أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! [ذكره أبو شامة في كتاب: الباعث على إنكار البدع و الحوادث نقلًا عن أبي بكر الخلال صلى الله عليه وسلم 14].

هذا نموذج، و لا زال العلماء ينكرون على المبتدعة في كل عصر، و الحمد لله.

2 - منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع:

منهجهم في ذلك مبني على الكتاب و السنة، و هو المنهج المقنع المفهم، حيث يوردون شبه المبتدعة و ينقضونها، و يستدلون بالكتاب و السنة على وجوب التمسك بالسنن، و النهي عن البدع و المحدثات، و قد ألقوا المؤلفات الكثيرة في ذلك، و ردوا في كتب العقائد على الشيعة و الخوارج و الجهمية و المعتزلة و الأشاعرة، في مقالاتهم المبتدعة في أصول الإيمان و العقيدة، و ألفوا كتبًا خاصة في ذلك، كما ألف الإمام أحمد كتاب الرد على الجهمية، و ألف غيره من الأئمة في ذلك كعثمان بن سعيد الدارمي، و كما في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية و تلميذه ابن القيم، و الشيخ محمد بن عبد الوهاب، و غيرهم، من الرد على تلك الفرق، و على القبورية و الصوفية، و أما الكتب الخاصة في الرد على أهل البدع، فهي كثيرة، منها على سبيل المثال من الكتب القديمة:

1 - كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي.

2 - كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، فقد استغرق الرد على المبتدعة جزءًا كبيرًا منه.

3 - كتاب إنكار الحوادث و البدع لابن وضاح.

4 - كتاب إنكار الحوادث و البدع للطرطوشي.

5 - كتاب الباعث على إنكار البدع و الحوادث لأبي شامة.

ومن الكتب العصرية:

1 - كتاب الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ.

2 - كتاب السنن و المبتدعات المتعلقة بالأذكار و الصلوات للشيخ محمد بن أحمد الشقيري الحوامدي.

3 - رسالة التحذير من البدع لشيخ عبد العزيز بن باز.

ولا يزال علماء المسلمين - و الحمد لله - ينكرون البدع و يردون على المبتدعة من خلال الصحف و المجلات و الإذاعات و خطب

الجمع و الندوات و المحاضرات، مما له كبير الأثر في توعية المسلمين، و القضاء على البدع و قمع المبتدعين.

الفصل الرابع  
في بيان نماذج من البدع المعاصرة  
وهي:

- 1 - الاحتفال بالمولد النبوي.
  - 2 - التبرك بالأماكن والآثار والأموات و نحو ذلك.
  - 3 - البدع في مجال العبادات و التقرب إلى الله.
- البدع المعاصرة كثيرة؛ بحكم تأخر الزمن، و قلة العلم، و كثرة الدعاة إلى البدع و المخالفات، و سريان التشبه بالكفار في عاداتهم و طقوسهم، مصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: " لتتبعن سنن من كان قبلكم ". [رواه الترمذي وصححه. ]
- 1 - الاحتفال بمناسبة المولد النبوي:

و هو تشبه بالنصارى في عمل ما يسمى بالاحتفال بمولد المسيح، فيحتفل جهلة المسلمين، أو العلماء المضلون في ربيع الأول أو في غيره من كل سنة بمناسبة مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. فمنهم من يقيم هذا الاحتفال في المساجد، و منهم من يقيمه في البيوت، أو الأمكنة المعدة لذلك، و يحضر جموع كثيرة من دهماء الناس و عوامهم، يعملون ذلك تشبهًا بالنصارى في ابتداعهم الاحتفال بمولد المسيح، عليه السلام، و الغالب أن هذا الاحتفال علاوة على كونه بدعة، و تشبهًا بالنصارى، لا يخلو من وجود الشركيات و المنكرات، كإنشاد القصائد التي فيها الغلو في حق الرسول صلى الله عليه وسلم إلى درجة دعائه من دون الله، و الاستغاثة به، و قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو في مدحه فقال: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله و رسوله " [رواه الشيخان. ]. و قد يصحب هذا الاحتفال اختلاط بين الرجال و النساء و فساد الأخلاق و ظهور المسكرات و غير ذلك.

الإطراء معناه: الغلو في المدح، و ربما يعتقدون أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر احتفالاتهم، و من المنكرات التي تصاحب هذه الاحتفالات: الأناشيد الجماعية المنغمة و ضرب الطبول، و غير ذلك من عمل الأذكار الصوفية المبتدعة، و قد يكون فيه اختلاط بين الرجال و النساء، مما يسبب الفتنة، و يجر إلى الوقوع في الفواحش، و حتى لو خلا هذا الاحتفال من هذه المحاذير، و اقتصر على الاجتماع و تناول الطعام، و إظهار الفرح - كما يقولون -؛ فإنه بدعة محدثة (و كل محدثة بدعة، و كل بدعة ضلالة )، و أيضًا هو وسيلة إلى أن يتطور، و يحصل فيه ما يحصل في الاحتفالات الأخرى من المنكرات.

و قلنا: إنه بدعة؛ لأنه لا أصل له في الكتاب و السنة و عمل السلف الصالح و القرون المفضلة، و إنما حدث متأخرًا بعد القرن الرابع الهجري، أحدثه الفاطميون الشيعة، قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني - رحمه الله -: (أما بعد: فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول، و يسمونه المولد، هل له أصل في الدين، و قصدوا الجواب عن ذلك مبيّنًا، و الإيضاح عنه معيّنًا، فقلت - و بالله التوفيق -: لا أعلم لهذا المولد أصلًا في كتاب و لا سنة، و لا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها الباطلون، و شهوة نفس اغتنى بها الأكالون). [رسالة المورد في عمل المولد].

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (و كذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمًا... من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيدًا، و مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف، و لو كان هذا خيرًا محضًا، أو راجحًا، لكان السلف - رضي الله عنهم ت أحق به منا، فإنهم كانوا اشد محبة للنبي صلى الله عليه وسلم و تعظيمًا له منا، و هم على الخير أحرص، و إنما كان محبته و تعظيمه في متابعتة و طاعنته، و اتباع امره وإحياء سنته باطنًا و ظاهرًا، و نشر ما بعث به، و الجهاد على ذلك بالقلب و اليد و اللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان) [اقتضاء الصراط المستقيم (2 / 615) بتحقيق الدكتور ناصر العقل]. ... انهى ببعض اختصار.

و قد ألفت في إنكار هذه البدعة كتب و رسائل قديمة و حديثة، و هو علاوة على كونه بدعة و تشبهًا، فإنه يجر إلى إقامة موالد أخرى كموالد الأولياء و المشايخ و الزعماء، فيفتح أبواب شر كثيرة.

2 - التبرك بالأماكن و الآثار و الأشخاص أحياء و أمواتًا:

من البدع المحدثه: التبرك بالمخلوقين، و هو لون من ألوان الوثنية، و شبكة يصطاد بها المرتزقة أموال السذج من الناس، و التبرك: طلب البركة و هي: ثبوت الخير في الشيء و زيادته، و طلب ثبوت الخير و زيادته إنما يكون ممن يملك ذلك و يقدر عليه، و هو الله سبحانه، فهو الذي ينزل البركة و يشبثها، أما المخلوق فإنه لا يقدر على منح البركة و إيجادها، و لا على إبقائها و تثبيتها، فالتبرك بالأماكن و الآثار و الأشخاص - أحياء و أمواتًا - لا يجوز؛ لأنه إما شرك، إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة، أو وسيلة إلى

الشرك إن اعتقد أن زيارته و ملامسته و التمسح به، سبب لحصولها من الله.

و أما ما كان الصحابة يفعلونه من التبرك بشعر النبي صلى الله عليه وسلم و ريقه و ما انفصل من جسمه صلى الله عليه وسلم، خاصة كما تقدم [في صفحة 183. ]؛ فذلك خاص به صلى الله عليه وسلم و لم يكن الصحابة يتبركون بحجرته و قبره بعد موته، و لا كانوا يقصدون الأماكن التي صلى فيها أو جلس فيها؛ ليتبركوا بها، و كذلك مقامات الأولياء من باب أولى، و لم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين، كأبي بكر و عمر و غيرهما من أفاضل الصحابة، لا في الحاية و لا بعد الموت، و لم يكونوا يذهبون إلى غار حراء ليصلوا فيه أو يدعوا، و لم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى ليصلوا فيه و يدعوا، أو إلى غير هذه الأمكنة من الجبال التي يقال إن فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم، و لا إلى مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء.

وأيضًا فإن المكان الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيه بالمدينة النبوية دائمًا لم يكن أحد من السلف يستلمه و لا يقبله، و لا موضع الذي صلى فيه بمكة و غيرها، فإذا كان الموضع الذي كان يطؤه صلى الله عليه وسلم بقدميه الكريمتين، وبصلي عليه، لم يشرع لأُمَّته التمسح به و لا تقبيله، فكيف بما يقال إن غيره صلى فيه أو نام عليه ؟ فتقبيل شيء من ذلك و التمسح به قد علم العلماء بالاضطرار من دين الإسلام: أن هذا ليس من شريعته صلى الله عليه وسلم. [انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (2 / 795 - 802) تحقيق الدكتور ناصر العقل. ]

3 - البدع في مجال العبادات و التقرب إلى الله:

البدع التي أحدثت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة، و الأصل في العبادات التوقيف، فلا يشرع شيء منها إلا بدليل، و ما لم يدل عليه دليل فهو بدعة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ". [رواه مسلم. ]

و العبادات التي تمارس الآن و لا دليل عليها كثيرة جدًا، منها: الجهر بالنية للصلاة: بأن يقول: نويت أن أصلي لله كذا و كذا، و هذه بدعة؛ لأنه ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، و لأن الله تعالى يقول: { قل أتعلمون الله بدينكم و الله يعلم ما في السماوات و ما في الأرض و الله بكل شيء عليم (16) }. [الحجرات: 16. ]

و النية محلها القلب، فهي عمل قلبي لا يعمل لسانني. و منها: الذكر الجماعي بعد الصلاة، لأن المشروع أن كل شخص يقول الذكر الوارد منفردًا.

و منها: طلب قراءة الفاتحة في المناسبات، و بعد الدعاء، و  
للأموات.

و منها: إقامة المآتم على الأموات، و صناعة الأطعمة واستئجار  
المقرئين، يزعمون أن ذلك من باب العزاء، أو أن ذلك ينفع الميت،  
و كل ذلك بدع لا أصل لها، و أصار و أغلال ما أنزل الله بها من  
سلطان.

و منها: الاحتفال بالمناسبات الدينية، كمناسبة الإسراء و المعراج،  
و مناسبة الهجرة النبوية، و هذا الاحتفال بتلك المناسبات لا أصل  
له في الشرع.

و من ذلك: ما يفعل في شهر رجب، و ما يفعل فيه من العبادات  
الخاصة به، كالتطوع بالصلاة و الصيام فيه خاصة، فإنه لا ميزة له  
على غيره من الشهور، لا في الصيام و الصلاة و الذبح للنسك فيه،  
و لا غير ذلك.

و من ذلك: الأذكار الصوفية بأنواعها، كلها بدع و محدثات، لأنها  
مخالفة للأذكار المشروعة في صيغها و هيئاتها و أوقاتها.

و من ذلك: تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام، و يوم النصف  
من شعبان بصيام، فإنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم  
في ذلك شيء خاص به.

و من ذلك: البناء على القبور، و اتخاذها مساجد، و زيارتها لأجل  
التبرك بها، و التوسل بالموتى، و غير ذلك من الأغراض الشركية، و  
زيارة النساء لها؛ مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لعن  
زوارات القبور، و المتخذين عليها المساجد و السرج.

و ختامًا نقول: إن البدع بريد الكفر، و ههي زيادة دين لم يشرعه  
الله ولا رسوله، و البدعة شر من المعصية الكبيرة، و الشيطان  
يفرح بها أكثر مما يفرح بالمعاصي الكبيرة؛ لأن العاصي يفعل  
المعصية و هو يعلم أنها معصية فيتوب منها، و المبتدع يفعل البدعة  
يعتقدها دينًا يتقرب به إلى الله، فلا يتوب منها، و البدع تقضي على  
السنن، و تكره إلى أصحابها فعل السنن و أهل السنة.

و البدعة تباعد عن الله، و توجب غضبه و عقابه، و تسبب زيغ  
القلوب و فسادها.

ما يعامل به المبتدعة:

تحرم زيادة المبتدع و مجالسته إلا على وجه النصيحة له و الإنكار  
عليه؛ لأن مخالطته تؤثر على مخالطه شرًا، و تنشر عداوته إلى  
غيره، و يجب التحذير منهم، و من شرهم، إذا لم يكن الأخذ على  
أيديهم، و منعهم من مزاولة البدع، و إلا فإنه يجب على علماء  
المسلمين و ولاة أمورهم منع البدع، و الأخذ على أيدي المبتدعة، و  
ردعهم عن شرهم؛ لأن خطرهم على الإسلام شديد، ثم إنه يجب

أن يعلم أن دول الكفر تشجع المبتدعة على نشر بدعتهم، و  
تساعدهم على ذلك بشتى الطرق؛ لأن في ذلك القضاء على  
الإسلام، و تشويه صورته.  
نسأل الله عز وجل أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويخذل أعداءه، و  
صلى الله و سلم على نبينا محمد و آله و صحبه.